

محاورات برتراندرسل

شيخ فلاسفة العصر

ترجمة وتقديم

جلال العشري



المطبعة العربية الحديثة - القاهرة

١٩٦٦

1588

المحاضرة مفقودة من أصل المصدر
الورق

شيخ الفلاسفة المعاصرين مع مشكلات هذا العصر لقاء شجاع ومثيرا ، في وقت واحد ، فهو لا يضع الحلول لهذه المشكلات فقط ، ولكنه يمتعنا بحوار ذكي وحر وعميق ، يذكرنا بذلك النهج العتيق في التأليف الفلسفي ، نهج المحاورات كما في محاورات سقراط وأفلاطون .

وهو من الكتب الشارحة التي تجمع آراءه في الحياة العامة ، كما انه من الكتب الجامعة التي يتعرض فيها كل ما سبق ان ناقشه من مشكلات ، والواقع أن هذا الكتاب يعتبر بحق « الوصية الفكرية » لشيخ الفلاسفة المعاصرين .

وهو يقع في ثلاثة عشر فصلا تدور حول الفلسفة ، والدين ، والحرب ، والسلام ، والشيعوية والرأسمالية ، والأخلاق ، والسلطة ، والسعادة والوطنية وبريطانيا العظمى ودور الفرد ، والتعصب والتسامح ، والقبلة الهيدروجينية ، وأخيرا مستقبل الانسانية .

والكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة صيغت على هيئة « محاورات » ، وقد صورها التليفزيون البريطاني على مدى أربعة أيام ونصف في ربيع عام ١٩٥٩ ، وذلك دون أي « سكرتيت » جاهز ودون أي إعادة للتصوير ، وهو ماتمسك به برتراند رسل لانه على حد تعبيره .. ليس ممثلا !

وهكذا سجل الفيلم التلفزيوني كلماته كما خرجت من فمه لأول مرة ، وكما سنجدها في هذه المحاورات ، التي أجراها ودرجات من خلال خبرته الكبيرة في التعامل مع ال ب.ب.س ، كمتعلق نيلفزيوني ، فضلا عن كونه أحد النواب في مجلس العموم البريطاني عن حزب العمال .

ولقد أحدثت هذه المحاورات دويا هائلا في الأوساط الثقافية والاعلامية لدى اذاعتها وعقب نشرها ، فقالت مجلة « اتلاتيك » الشهرية .

« انها تصور فكرى رائع لما ينبغي أن نعرفه في هذه القارة على انه فلسفة جريئة وشجاعة ، وصحيح انها لا تخلو من وخز الضمير ، ولكن الصحيح أيضا انها تعرف كيف تثير الدماء » .

ووصفتها صحيفة « سان فرانسيسكو » بأنها « ضرب من الأعمال الفكرية التي تدل على البراعة ، وتنطوى على القوة » .

أما صحيفة « الهيرالد بوستون » فقد وصفت برتراند رسل صاحب هذه المحاورات بأنه : « انما ينجح في ترويض نفسه على نزع السلاح حتى وهو في أشد حالات العنف والقوة » .

وقالت صحيفة « شيكاغو صنداى تريبيون » : ان ذهنه المتوقد الحي يحرك العديد من الاستجابات المثيرة لدى كل أولئك الذين يشاركونه أسلوبه المرح في ادارة الحوار » .

المحاورة الأولى

ماهى الفلسفة؟

ودرو وات :

لورد رسل ، ما هو تعريفك للفلسفة ؟

لورد رسل :

حسنا ، هذا سؤال مثير جدا للجدل والخلاف ، ولا أظن أنك تستطيع أن تجد اثنين من الفلاسفة يعطيانك اجابة واحدة .
اما الفلسفة من وجهة نظرى فهى مجموعة من التأملات حول موضوعات لا نعرفها بالضبط الا على سبيل الاحتمال ، وتلك هى اجابتي الوحيدة ، وليست اجابة احد غيرى .

وات :

اذن ، ما هو الفرق بين الفلسفة والعلم ؟

رسل :

لا بأس ، نستطيع ان نقول بوجه عام ان العلم هو ما نعلم ،
اما الفلسفه فهى مالا نعلم ، وهذا تعريف بسيط ، من شأنه ان

1. *Staphylococcus aureus*

2. *Staphylococcus epidermidis*

3. *Staphylococcus saprophyticus*

4. *Staphylococcus carnosus*

5. *Staphylococcus sciuri*

6. *Staphylococcus hyacinthi*

7. *Staphylococcus saprophyticus*

8. *Staphylococcus aureus*

9. *Staphylococcus aureus*

10. *Staphylococcus aureus*

11. *Staphylococcus aureus*

12. *Staphylococcus aureus*

13. *Staphylococcus aureus*

14. *Staphylococcus aureus*

15. *Staphylococcus aureus*

16. *Staphylococcus aureus*

17. *Staphylococcus aureus*

18. *Staphylococcus aureus*

19. *Staphylococcus aureus*

20. *Staphylococcus aureus*

21. *Staphylococcus aureus*

22. *Staphylococcus aureus*

23. *Staphylococcus aureus*

24. *Staphylococcus aureus*

25. *Staphylococcus aureus*

26. *Staphylococcus aureus*

27. *Staphylococcus aureus*

28. *Staphylococcus aureus*

29. *Staphylococcus aureus*

30. *Staphylococcus aureus*

31. *Staphylococcus aureus*

32. *Staphylococcus aureus*

33. *Staphylococcus aureus*

34. *Staphylococcus aureus*

35. *Staphylococcus aureus*

36. *Staphylococcus aureus*

37. *Staphylococcus aureus*

38. *Staphylococcus aureus*

39. *Staphylococcus aureus*

40. *Staphylococcus aureus*

41. *Staphylococcus aureus*

42. *Staphylococcus aureus*

43. *Staphylococcus aureus*

44. *Staphylococcus aureus*

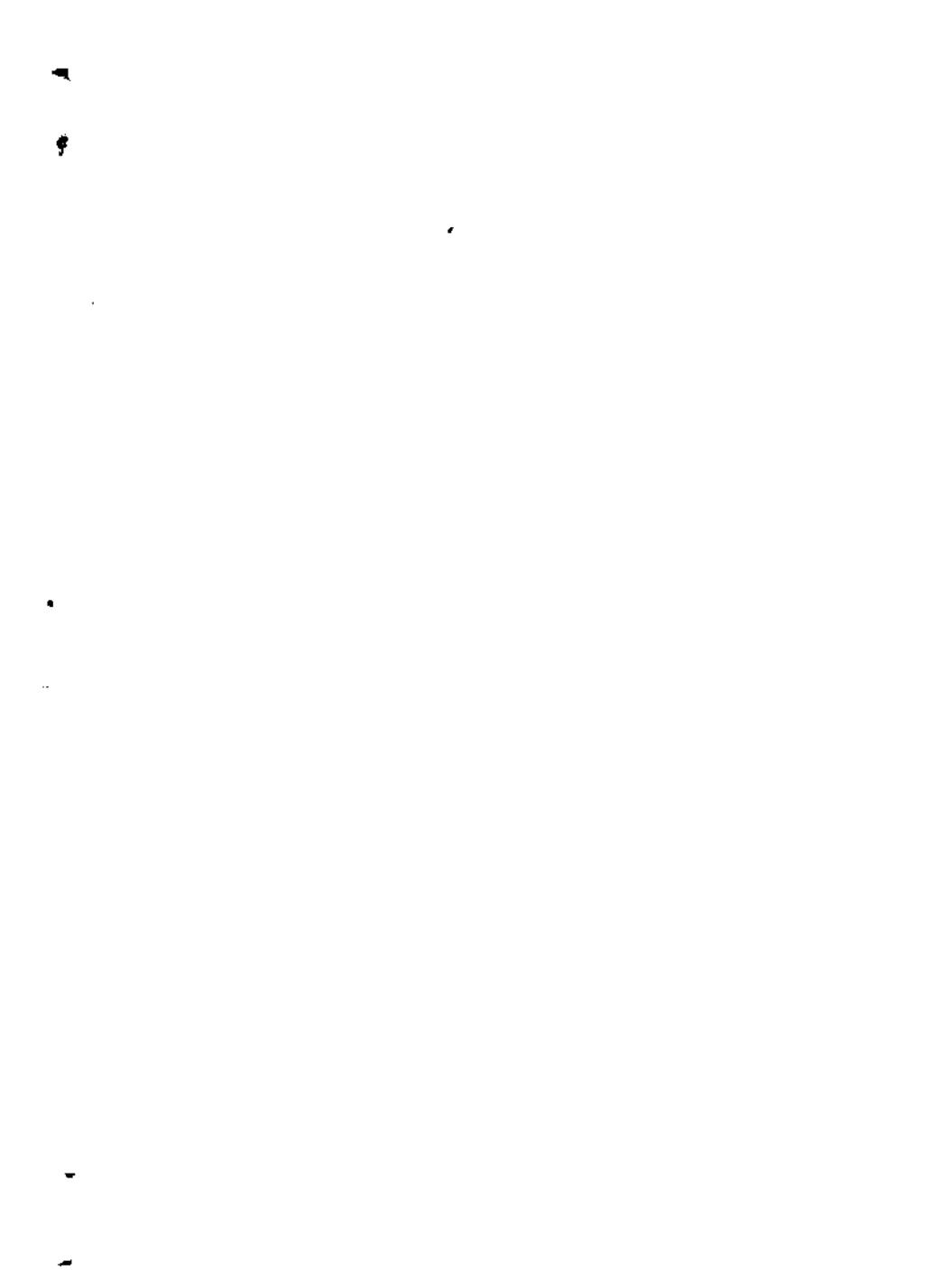
45. *Staphylococcus aureus*

46. *Staphylococcus aureus*

47. *Staphylococcus aureus*

48. *Staphylococcus aureus*





the fact that the β function is not zero, the theory is not conformally invariant. The theory is also not renormalizable in the traditional sense, as the coupling constant λ has a negative mass dimension. However, the theory is renormalizable in the sense of 't Hooft and Veltman, as the divergences can be absorbed into a redefinition of the coupling constant and the fields. The theory is also renormalizable in the sense of 't Hooft and Veltman, as the divergences can be absorbed into a redefinition of the coupling constant and the fields. The theory is also renormalizable in the sense of 't Hooft and Veltman, as the divergences can be absorbed into a redefinition of the coupling constant and the fields.

231

2025-03-27 10:00:00

232

The theory is also renormalizable in the sense of 't Hooft and Veltman, as the divergences can be absorbed into a redefinition of the coupling constant and the fields. The theory is also renormalizable in the sense of 't Hooft and Veltman, as the divergences can be absorbed into a redefinition of the coupling constant and the fields. The theory is also renormalizable in the sense of 't Hooft and Veltman, as the divergences can be absorbed into a redefinition of the coupling constant and the fields.

لقد اهتدى ديمقريطس الى النظرية الذرية القائلة بأن المادة تتألف من ذرات صغيرة ، وبعد أكثر من ألفي سنة ، ثبت صحة هذه النظرية ، مع انها لم تكن في أيامها أكثر من مجرد افتراض . أوخذ مثلا آخر هو أرسطوخس ، لقد كان أرسطوخس هو أول من افترض ان الأرض هي التي تدور حول الشمس . وليست الشمس هي التي تدور حول الأرض ، وأن الدورة اليومية للأجرام السماوية ليست سوى حركة ظاهرية يمكن تفسيرها بحركة الأرض ، غير أن هذه النظرية كان نصيبها النسيان ، ولم تبرز الى الوجود الا في أيام كوبرنيكوس ، أى بعد حوالي ألفي عام وليس بمستبعد ان كوبرنيكوس لم يكن ليفكر فيها ، لو لم يسبقه أرسطوخس الى ذلك .

وات :

وكيف كان يحدث ذلك ، هل هو نوع من الحدس ؟

رسل :

اوه ، لا . فانفلاسه الذين بوصوا الى هذه العرضيات ، لم يكن في وسعهم ان يعقبوا ، « هذه هي الحقيقة ! » وإنما كان في وسعهم ان يقولوا: « قد تكون هذه هي الحقيقة ! » وتكون الخطوة التالية هي أن يتلقف هذا الرأي واحد من

المفكرين أصحاب الخيال العلمى الفياض ، فيظل يفكر فى كل
الأشياء التى يمكن أن تكون حقيقية ، وهذا هو جوهر العلم .
بعبارة أخرى ، أن تبدأ بالتفكير فى امكان أن يكون الشيء
حقيقيا ، ثم تنظر فيما اذا كان كذلك أو غير كذلك .

وات :

ولكن ، ألم ينظر أفلاطون الى نظرية ديمقريطس فى
الذرات ، على أنها ضرب من الكلام الفارغ ؟

رسل :

كان أفلاطون مروعا من ديمقريطس ، حتى لقد نادى
بضرورة حرق جميع كتبه ، وتفسير ذلك أن أفلاطون لم يكن
يحب العلم ، وانما كان يحب الرياضيات ، ولا يميل الى كل
ما هو علمى .

وات :

وعلى هذا النحو ، تصبح الفلسفة بشكل ما ، خادمة للعلم .

رسل :

هذا صحيح فى بعض جوانبه ، ولكن الفلسفة بالطبع ليست
مجرد خادم للعلم ، فهناك من الموضوعات مالا يدخل فى نطاق

1. The first part of the text discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text also notes that accurate records are necessary for the preparation of financial statements and for the calculation of taxes.

2. The second part of the text discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text also notes that accurate records are necessary for the preparation of financial statements and for the calculation of taxes.

3. The third part of the text discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text also notes that accurate records are necessary for the preparation of financial statements and for the calculation of taxes.

4. The fourth part of the text discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text also notes that accurate records are necessary for the preparation of financial statements and for the calculation of taxes.

5. The fifth part of the text discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text also notes that accurate records are necessary for the preparation of financial statements and for the calculation of taxes.

6. The sixth part of the text discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text also notes that accurate records are necessary for the preparation of financial statements and for the calculation of taxes.

أى موضوع من موضوعات البحث هي التحليل ، وذلك بأن
تظل تحلل في الموضوع مرتدا به الي عناصره الأولية التي لا يمكن
تحليلها الي ما هو أقل منها ، هذه العناصر الأولية هي الذرات
المنطقية ، وأنا أسميها ذرات منطقية لأنها ليست جزئيات صغيرة
من المادة ، وانما هي أفكارنا عن المادة التي يتألف منها الشيء .

وات :

ما هي وجهة الفلسفة الرئيسية في هذه الأيام ؟

رسل :

حسن ، علينا ادر ان نميز بين الأقطار التي تتكلم
الانجليزية ، والأقطار الأوربية الأخرى : ففي هذه الأقطار جميعا
اختلفت اتجاهات الفلسفة اختلافا بينا عما كانت عليه من قبل .
أما الأقطار التي تتكلم الانجليزية ، وخاصة انجلترا ، فقد ظهرت
فيها فلسفة جديدة هي على ما أظن ، وليدة الرغبة في ايجاد
ميدان للفلسفة مستقل عن غيره من الميادين . هذا الميدان كما
كنت أقول منذ قليل ، هو الذي يجعل الفلسفة مجرد استكمال
للعلم ، ولو ان هناك من الفلاسفة من لا يرتضى هذه النظرة ،
ويريد للفلسفة مجالا خاصا بها ، ولقد أدى هذا بالفلسفة الي
جعلها فلسفة لغوية ، بحيث لا تصبح مهمة الفيلسوف هي الاجابة
على الأسئلة ، ولكنها توضيح مضامين هذه الأسئلة . وأنا

شخصيا لا أوافق على هذه النظرة ، وأستطيع أن أوضح لك ذلك . . كنت ذات مرة ، في طريقى الى ونشستر راكبا دراجة ، وفقدت الطريق ، فذهبت الى دكان صغير من دكاكين القرية . وسألت صاحب الدكان ، « هل تدلنى على أقصر طريق الى ونشستر ؟ » فما كان من الرجل الذى اسأله الا أن سأل رجلا آخر فى الجانب الآخر من المكان ، بحيث لا أستطيع أن أراه : « السيد يريد أن يعرف أقصر طريق الى ونشستر ؟ » ومن الخلف جاء صوت الرجل الآخر « ونشستر ؟ » ، « نعم » - « الطريق الى ونشستر ؟ » - « نعم » - « أقصر طريق ؟ » - « أنا لا أعرفه » وهكذا ذهبت الى حال سيلى دون أن أحصل على أية اجابة . وهذا ما تظن فلسفة أوكسفورد ان الانمان ينبغى أن يفعله .

وات :

وهل معنى هذا انك تهتم بصحة السؤال ، بصرف النظر عن الاجابة ؟

وسل :

بالطبع ، لان تقديم الاجابة ، هى مهمه شخص اخر .

وات :

وكيف تختلف هذه الوجة ، عن وجهة أقطار القسارة
الأوربية الأخرى في هذه الأيام ؟

رسل :

ان أقطار القرة الأخرى ، تتجه في نظرتها الى الفلسفة
وجهة أكثر حيوية ، وهي الوجة التي لم أعد أوافق عليها ،
ولكنها بمعنى من المعانى أكثر حيوية ، وأقرب شيها بفلسفات
العصور القديمة ، فهناك أنواع مختلفة من الفلسفة انحدرت من
نظرة كيركيجارد الى الوجودية ، وهناك فلسفات آلت على
نفسها أن تمد تعاليم الدين باللاهوت الجدلى ، هناك أشياء
مختلفة من هذا النوع ، وانا شخصيا لا أرى شيئا بالغ الأهمية
في هذا كله .

وات :

وما الفائدة العملية التي تستطيع فلسفتك أن تقدمها الى
الانسان ، الذي يريد أن يعرف كيف يقود سواكه في الحياة ؟

رسل :

كتب الى عدد كبير من الناس يقولون انهم اصبحوا في
حيرة نامه من امرهم ، ولا يعرفون كيف ينبغى عليهم ان يفودوا

زمام أنفسهم ، فقد كفوا عن تقبل التعاليم التقليدية التي ترشدتهم
 الى الصواب ، ولا يعرفون أية تعاليم أخرى ينبغي عليهم أن
 يتبعوها . وفي رأيي ان هذا النوع من الفلسفة الذي أدين به
 هو خير ما ينفعهم في هذه الحال ، فهو يساعدهم على أن يتصرفوا
 بحيوية حين يعوزهم اليقين التام بأن ما يفعلونه هو الصواب .
 ولا أظن ان أحدا ينبغي أن يكون على يقين من شيء . فاذا كنت
 على يقين من شيء ، فأنت يقينا على خطأ ، فما من شيء يحتمل
 اليقين ، وعلى الانسان باستمرار أن يضع معتقداته موضع
 الشك ، وأن يكون قادرا على أن يتصرف بحيوية وانطلاق بدلا
 من التوجس والارتياب . وهذا على أية حال ، هو ما يفعله القائد
 العسكري وهو بصدد التخطيط لمعركة حربية ، انه لا يدرى
 تماما ما الذي سيفعله العدو ، ولكنه اذا كان قائدا جيدا
 لاستطاع أن يفترض الصواب ، واذا كان قائدا رديئا لما افترض
 سوى الخطأ . غير اننا في الحياة العملية علينا أن نتصرف وفقا
 لمجموعة من الاحتمالات ، وما أتتظر من الفلسفة أن تقدمه هو أن
 تشجع الناس على أن يتصرفوا بحيوية دون أن يكونوا على يقين
 تام من صحة هذه التصرفات .

وات :

نعم ، ولكن ماذا تعمل لهؤلاء الناس الذين فقدوا يقينهم

فيما يؤمنون به أو يعتقدون فيه ؟ الا ترى ان هذا الأمر يزيدهم
بلبالا ؟

رسل :

نعم ، ان ذلك يحدث لهم لفترة من الزمن ، وفي اعتقادي ان
قدرا معيناً من الببال ، انما هوشىء جوهري للمران على التفكير
الذهني ، غير انهم لو تحصنوا بقدر من المعرفة العلمية ،
لاحتفظوا بالتوازن الذي يساعدهم على عدم الوقوع في هوة
الشكوك التي يجب أن يشعروا بها .

وات :

وكيف ترى مستقبل الفلسفة ؟

رسل :

لا أعتقد ان الفلسفة يمكن أن يكون لها في المستقبل من
الأهمية ما كان لها أيام اليونان ولا في العصور الوسطى ،
فنهضة العلم بالضرورة أضعفت من أهمية الفلسفة .

وات :

وهل يمكن أن يوجد بيننا عدد كبير من الفلاسفة ؟

رسـل :

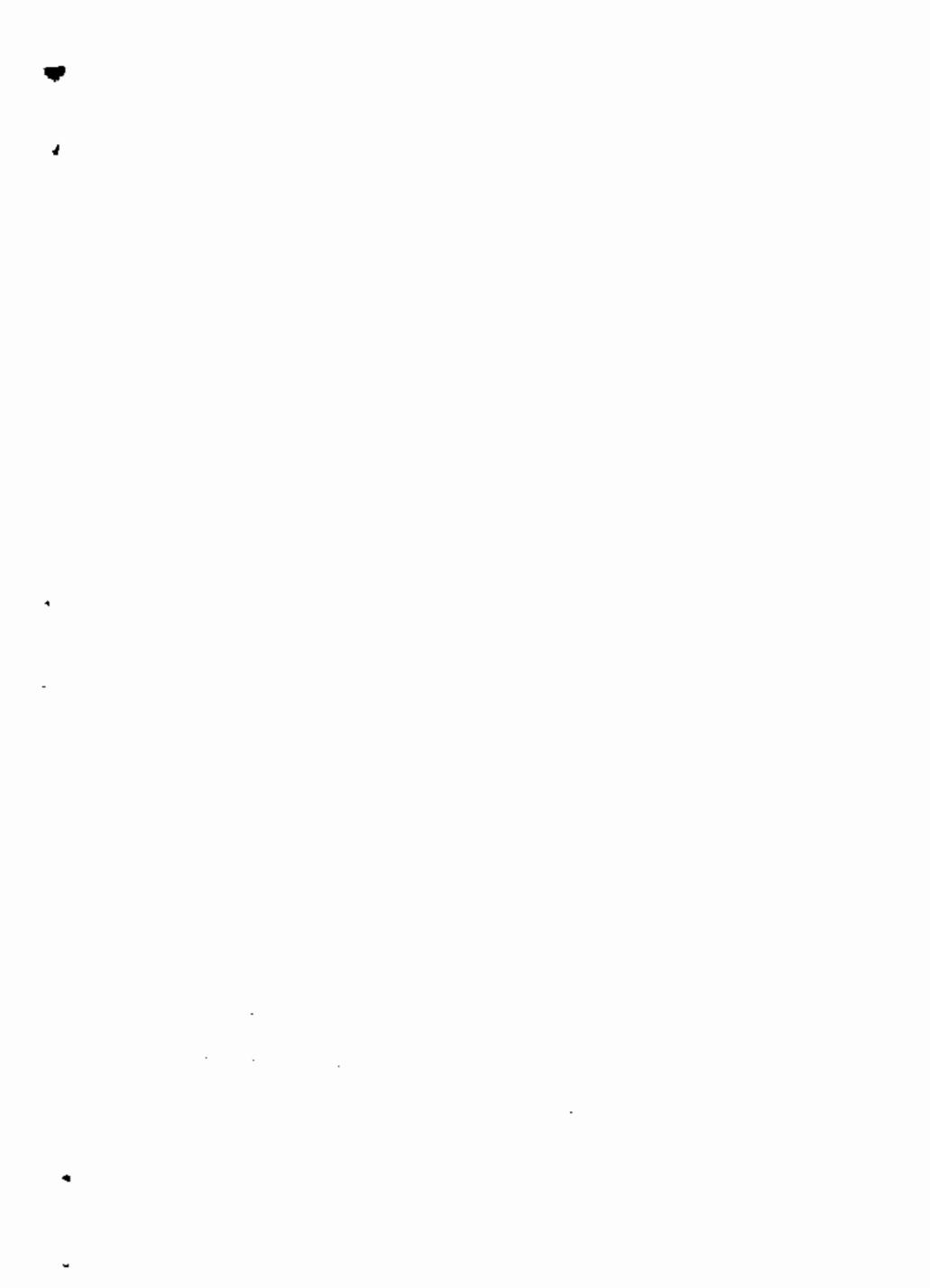
أوه ، لا بأس ، فلا أقصد أن الفيلسوف ينبغي أن يعبر
عن نفسه على هذا النحو ، وفي تصوري ان من ليسوا فلاسفة
يمكن أن يكون لهم رأيهم في ذلك .

وات :

كيف يمكنك أن تجعل لنا القول في قيمة الفلسفة في عالمنا
الحاضر ، وفي الأعوام القادمة ؟

رسـل :

حسن ، فانا اعتقد ان الفلسفة لها اهميتها القصوى في
عالمنا الحاضر . لانها اولا ، ولما سبق ان قلت ، تجعل الانسان
يتحقق من أن هناك عددا كبيرا جدا من الأسئلة البالغة الأهمية
لا يستطيع العلم ، على الأقل في وقتنا الحاضر ، أن يجيب عليها:
بل ولا تدخل حتى في نطاق المنهج العلمي ذاته . والثىء الثانى
الذى تفعله الفلسفة ، هى انها تجعل الناس أكثر تواضعا في
معارفهم الذهنية ، وأكثر وعيا بأن الكثير مما كانوا يظنون أنهم
يعلمونه علم اليقين ، لم يعد كذلك . وان المعرفة أمر بعيد
المدى ، وان فهم العالم ، وهو في اعتقادى الغاية القصوى التى
ينبغي أن يتغياها كل فيلسوف ، انما هى مهمة طويلة شاقة :
ينبغي علينا حياها ألا تقطع أو نجزم بشىء .



المحاورة الثانية

الحرب والسلام

ودر ووات :

لورد رسل ، هل من الجائز أن تتكلم عن حروب عادلة ؟

لورد رسل :

نعم ، من الجائز أن تتكلم عن حروب عادلة ، وان كان هذا بطبيعة الحال ، يتوقف على تعريفك لمعنى كلمة « عادلة » ، فإذا كنت تقصد من ناحية ، الحروب التي كان لها تبرير مشروع ، فمما لا شك فيه انه قد كان هناك عدد من الحروب ذات التبرير المشروع ، والمشروع جدا ، أما اذا كنت تقصد من ناحية أخرى ، الحروب التي تتج عنها من النفع أكثر مما تتج عنها من الضرر ،

فيمده لا تندرج على الإطلاق تحت نفس التعريف ، لا تندرج
على الإطلاق .

وات :

هل يمكنك أن تضرب لنا أمثلة على كلا النوعين ؟

رسل :

نعم . . هذا أمر يسير ، فان أى حرب تنشب لمقاومة الغزو
أو العدوان انما هي في اعتقادي حرب عادلة . لقد كان العدل
كل العدل في جانب الحرب التي شنها الانجليز لمقاومة أسطول
الأرمادا الاسبانية ، كذلك كانت حرب المجريين من أجل اتزاع
حريتهم حربا عادلة ، وان كانت الحرب الأولى قد حالفها التوفيق ،
بينما جانب التوفيق الحرب الثانية . أما اذا أدت السؤال على
الوجه الآخر ، فان معنى العدل يأخذ وجهة أخرى ، ويندرج
تحت تعريف مختلف كل الاختلاف ، اذ عليك أن تفكر فيما اذا
كانت هذه الحروب ستعود بالخير . ومن أمثلة الحروب التي
لم يكن لها أى تبرير مشروع ، احتلال الرجل الأبيض لشمال
القارة الأمريكية ، فهذه الحرب في مجملها أستطيع أن أقول
عنها انها عادت بالخير . على الرغم من أنها لم يكن لها أى سند
قانوني مشروع .

وات :

وما رايت في حرب الاستقلال الامريكية ؟

رسل :

حسن ، فهذه الحرب كانت لها دلل الشرعيه ، صحيح انها لم تكن الشرعيه القانونيه ، ولذلك من ناحيه الواقع الفعلي ادا فست بزيارة لأمريكا الآن ، كان لزاما عليك أن تنتهي الى تتيجه تتضمن اداة جورج واشنطن ، على أساس أنه لا ينبغي لحكومة قائمة على أساس شرعي أن تقاوم بالعنف ، وهذا بطبيعة الحال فيما لو استعدنا الأحداث .

وات :

وهل تعتقد أن هناك حروبا حالفها النجاح ، ولم يتحقق لها ذلك الا على المدى الطويل ؟

رسل :

أوه : نعم ، نعم ، خذ مثلا من التاريخ القديم حروب الاسكندر وحروب القيصر ، فكلاهما كان من الغزاة العظام ، وكلاهما دخل في حروب ليس لها أي تبرير قانوني مشروع، ولكن الغزوات التي قام بها هذان القائدان ، هي في اعتقادي مما عاد

بالخير ، فحروب الاسكندر نشرت الثقافة الهلينية فى الشرق الأوسط ، كما نشرت ثقافة اللغة اليونانية ، كذلك حافظت على التراث الثقافى لى اليونان . وربما لم يكن أحد منا يعرف حتى وقتنا الحاضر ، مدى فضل اليونان على الحضارة ، لو لم يرجع ذلك الى حروب الاسكندر .

وات :

وماذا عن حروب القيصر ؟

رسل :

حسن ، لقد غزا القيصر بلاد الغال ، وجعلها جزءا من العالم المتحضر ، وساعد على نمو اللغة الفرنسية التى نكن جميعا ليا كل الاعجاب ، وما كان هذا كله يحدث لولا حروب القيصر .

وات :

ما هى الأسباب الرئيسية التى تؤدى الى نشوب الحروب؟
هل هى الأسباب الاقتصادية ؟ أم هى جنون الحكام ؟ أم هى
حماسة الجماهير ؟

وسل :

هناك أمثلة لكل سبب من هذه الأسباب ، فمن الحروب ما ينشأ لهذا السبب ، ومنها ما ينشأ للسبب الآخر ، خذ على سبيل المثال غزو فردريك الأكبر لمملكة ماري تيريز ، فهو في تقديرى لم يكن يمارس سوى حقه الملكى ، لأنه لم يكن هناك أى سبب آخر على الاطلاق . قفى القرن الثامن عشر ، كان من الجائز جدا ان تخرج الممالك للحرب دون أى تبرير مشروع الاحقها فى الحرب من أجل المجد والشرف ، غير أن ذلك لم يعد شائعا فيما بعد القرن الثامن عشر .

وات :

وهذا مما يندرج تحت ما سميناه بجنون الحكام .

وسل :

هذا صحيح ، ثم نأتى الى الأسباب الاقتصادية ، التى كانت ولا شك أسبابا فعالة ، بل شديدة الفعالية فى الحروب الطويلة بين انجلترا وأسبانيا ، فمن ناحيتنا ، كانت الأسباب الاقتصادية هى الأسباب الرئيسية ، أما من ناحية الأسبان ، فقد كانت الأسباب التى دفعتهم الى الحرب أسبابا دينية ، وهكذا حارب

الانجليز لأسباب مقبولة ، بينما حارب الأسبان لأسباب لا يمكن قبولها ، ولو أن هذا موضوع طويل ، لا يعيننا منه سوى أن الحرب من جانبنا كانت لأسباب اقتصادية خالصة . ثم تأتي بعد ذلك الى الأسباب التي ترجع الى حماسة الجماهير ، والتي كان لها دورها في اشعال الحروب ، فلقد ظل ولبول رئيسا للوزراء لفترة طويلة جدا ، الى أن أسقطته أخيرا حماسة الجماهير . وحمية دخول الحرب مع الأسبان ؛ فلقد اعتدنا دخول الحرب مع الأسبان ، وأحبينا ذلك ، أما هو فكان على العكس من ذلك تماما .

وات :

لقد كنت من دعاة السلام في الحرب العالمية الأولى، ألا ترى أنك لم تكن ميالا بعض الشيء ، لأن تكون من دعاة السلام في الحرب العالمية الثانية ؟

رسل :

لا .. لا .. انا لا أظن ذلك على الاطلاق ، فأنا لم أنظر الى الحروب جميعا من ناحية ما اذا كانت عادلة أو غير عادلة . وانما كنت أشعر أن بعضها له ما يبرره ، وأنه لا مبرر للبعض الآخر ، وعلى ذلك ، فالحرب العالمية الثانية كانت مبررة ، أما الحرب العالمية الأولى فلم يكن لها في نظري أى تبرير .

وات :

ولماذا نظرت الى الحرب العالمية الثانية على أنها مبررة ؟

رسل :

لأننى كنت أعتقد أن هتلر لا يطاق ولا يحتمل على الاطلاق،
وأن نظرية النازى كلها مما يثير الرعب والفرع ، وعلى ذلك فاذا
ما قدر للنازى أن يغزو العالم ، كما أعلنوا عن ذلك صراحة ،
فن العالم يستحيل الى جحيم لا تصلح فيه الحياة ، وهو ما دعانى
الى الجهر بضرورة ايقاف هذا .. بضرورة ايقافه .

وات :

وهل لا تزال عند اعتقادك فى خطأ نشوب الحرب العالمية

الأولى ؟

رسل :

نعم ، فأنا أعتقد أن انجلترا كان ينبغى عليها أن تقف على
الحياد ، وهذا هو ما قلته فى حينه ، ولا زلت مستمسكا بقوله
الى الآن ، فلو أننا اتخذنا جانب الحياد فى الحرب العالمية الأولى،
لما طال أمد الحرب ، ولاتتهى الحال بالألمان الى ما هو أقوى من
حالهم عند بداية الحرب ، صحيح أنه ليس الحال الأقوى تماما ،

بأى معنى من المعانى ، ولكن ألمانيا فى عهد القيصر ، وعلى الرغم من الدعاية التى كانت لهم فى انجلترا فى ذلك الحين ، لم تكن فى وضع سيء • والواقع أنه لا تكاد توجد من الحكومات الجيدة التى تعاقبت على ألمانيا فى العصر الحاضر ، الا القدر الضئيل ، والصئيل جدا ، الذى يمكن أن يقارن بحكومة القيصر • وأعود الى تفسير رأى فأقول ، انك اذا دخلت الحرب مع حكومة سيئة ، فانك دائما وأبدا تنحدر الى الأسوأ ، ولا أظن أن هذا الرأى ينطبق تماما على الحرب ضد النازى ، لأنه لا يمكن أن يوجد ما هو أسوأ من النازى ، ولكنه انما ينطبق بوجه عام . ولو اننا وقفنا على الجياد فى عام ١٩١٤ ، لما كان هناك ما يعرف بالنازى ، ولا حتى ما يعرف بالشيوعية ، فالشيوعيون ما هم الا نتيجة واضحة لتفسخ الجيش الروسى، ولحالة التشوش الكاملة التى عاشتها روسيا فى ذلك الحين ، وهو ما لم يكن يحدث أبدا لو لم يطل أمد الحرب •

وات :

وما الذى حدث فى روسيا ٢

رسل :

في روسيا كان لا بد وأن تندلع ثورة على الأوضاع ،
الأوضاع التي كانت ستؤول اليها ثورة ١٩٠٥ ، وكان لا بد للشوار
الاشتراكيين أن يستولوا على السلطة ، غير أنه لم يكن هناك من
هم أسوأ من الشيوعيين ، الذين أقاموا في رأيي نظاما ديكتاتوريا
كاملا في كافة الشئون .

وات :

هل تعتقد أنه ما كان يمكن ان يوجد في ألمانيا شيء مثل
النازي ، وان ألمانيا كان بوسعها أن تتطور تدريجيا نحو
الديمقراطية ؟

رسل :

نعم ، وكانت بالفعل في طريقها الى ذلك ، كانت في طريقها
الى تحقيق ذلك بخطى وطيدة ، تكاد تساوى في سرعتها ما فعلناه
في انجلترا في زمن باكر ، وفي اعتقادي أن ألمانيا كانت ستصبح
دولة برلمانية ديمقراطية مرموقة ، وما كانت تتردى بأى حال
من الأحوال في تلك الفلسفة النازية التي كانت بمثابة رد فعل
لما أصابها من خراب ودمار .

وات :

ولكن ، على افتراض أننا لم ندخل الحرب العالمية الأولى ،
فمن المؤكد أن ألمانيا كانت ستغزو فرنسا ، وما أن تفرغ من هذا
الغزو حتى تستدير الى انجلترا ، وهي تقول : « اذن : فلنبدا
في محو هذا الشيء » •

رسل .

لا اظن ان هناك اى سبب يدعو لمثل هذا التفكير ، فالامان
انما كانوا يريدون أشياء محددة بعينها ، كانوا يريدون أن يسمح
لهم بأسطول قوى ، وكانوا يريدون أن يسمح لهم بمزيد من
التوسع الاستعماري أكبر مما كنا نريد لهم ، وكانوا يريدون
نوعا من السيطرة على البلقان ، ولكن أطماع القيصر ، بقدر
ما أستطيع أن أرى ، كانت محدودة ومحددة تماما ، فلا أظن أنه
كان يطمع في السيطرة على العالم •

وات :

ولكن الحرب العالمية الأولى ، من وجهة نظر أخرى ، من
وجهة النظر البريطانية ، كانت حربا مشروعة ومبررة • فما رأيك
في ذلك ؟

رسـل :

أوه ، نعم ، كانت مشروعة من الناحية القانونية ، إذا نظرنا إليها من زاوية دخولنا الحرب دفاعا عن بلجيكا ، وتلك بطبيعة الحال مسألة فيها نظر . فاذا وافقت عليها كانت الحرب بالتأكيد مشروعة من الناحية القانونية . غير أنني لا أظن أن كل حرب مشروعة من الناحية القانونية حرب ينبغي أن تخاض .

وات :

هل تعتقد أن الشعوب تحب الحروب ؟

رسـل .

حسن ، كثير من الشعوب تحب الحروب . وهذا سبب من الأسباب التي افزعنتني في عام ١٩١٤ عندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، فأنا وكل أصدقائي من دعاة السلام ، ممن كنت أزاوّل معهم العمل ، كنا نظن أن الحروب مفروضة على الشعوب فرضا بفعل المكائد القذرة لدى الحكام ، غير أنني تجولت في شوارع لندن ، وأخذت أتفرس في وجوه الناس ، فوجدتهم جميعا يشعرون بنزيد من السعادة الحقيقية أكثر من تلك التي كانوا يشعرون بها قبل الحرب . وقلت هذا في الصحف ، وأحدثت جراحا غائرة

لأصدقائي من دعاة السلام ، ممن لم يستجوا منى هذا القول ،
ولا زلت أعتقد أن عددا كبيرا من الناس يحبون الحرب ، على
شريطة ألا تكون الحرب بالقرب منهم ، وألا تعود عليهم
بالأضرار ، أما إذا ما نشبت الحرب في بلادهم حينئذ لا تكون
شيئا يدعو إلى السرور .

وات :

طالما أن عددا كبيرا من الناس يحبون الحرب . فما الذي
يسلخ عمله في مشاعرهم العدوانية اذا لم تسمح لهم الظروف
بنتوب الحرب ؟

رسل .

لا اظن ان المشاعر عدوانية في جوهرها ، وانما هي محبة
للمغامرة ، وفي رأيي انه من الضروري ، ومن الضروري جدا ،
أن تتاح فرص المغامرة بقدر الامكان امام كل هؤلاء الناس
المحبون للمغامرة ، فينبغي مثلا أن تتاح لهم فرص تسلق الجبال
دون أن ينفقوا قدرا كبيرا من المال ، كما ينبغي أن تتاح لهم فرص
الذهاب الى القطب الشمالي أو القطب الجنوبي كلما رغبوا في
ذلك ، وينبغي بوجه عام أن تتاح لهم كل فرصة من فرص
المغامرة .

وات :

هل تظن أن الاسكندنافيين أو حتى السويديين يشعرون
بقدر أكبر من السعادة لعدم دخولهم أى حرب منذ أمد طويل؟

رسل :

أوه ، بالطبع أنهم لم يدخلوا فى حرب منذ عام ١٨١٤ ،
وعلى ذلك فالسويد كما رأيتها تعد واحدة من أسعد البلاد فى
العالم ، كما أن السويديين يستمتعون بالحياة استمتاعا كاملا •
ولم انظر اية علامة تدل على ضيقهم لعدم دخولهم فى اية حرب
من احروب •

وات :

ولكن عددا كبيرا منهم يقدم على الانتحار •

رسل :

أوه : نعم انهم يفعلون ذلك ، ولكنهم انما يفعلونه نتيجة
للكبت الدينى ، فهم ليسوا شعبا متدينا ، والمتدينون منهم رحلوا
الى غرب أمريكا ، أما من بقى منهم بالسويد فهم ليسوا متدينين
على الاطلاق •

وات :

ولكن ، أليس الدخول في الحرب جزء من الطبيعة البشرية ؟

وسل :

حسن ، فانا لا أعرف ما الذي تقصده بالطبيعة البشرية ، ان طبيعتك البشرية طبيعية الى ما لا نهاية ، وهذا هو ما لا يدركه الناس ، ولا يعملون على تحقيقه ، ولو أنك قارنت بين كلب أليف وذئب منوحش لاستطعت أن ترى ما الذي يفعله الترويض . فالكلب الأليف كائن لطيف ومريح ، ينبح أحيانا ، وقد يعض ساعى البريد ، ولكنه بوجه عام كائن أليف ، بينما نجد أن الذئب كائن مختلف تماما . وتستطيع أن تفعل نفس الشيء بالنسبة الى الكائنات البشرية ، فتبعا للطريقة التي تعاملها بها تستطيع أن تغيرها تغيرا كاملا ، وفي تقديري أن الفكرة القائلة بعدم إمكان تغير الطبيعة البشرية ، انما هي فكرة بالغة السخف .

وات :

ولكننا بالتأكيد ، اتفقنا وقتنا طويلا في محاولة اقناع الناس بعدم الدخول في حروب ، ومع ذلك لم نقطع شوطا في هذا السبيل .

رسـل :

نعم ، لأننا لم نحاول اقتناعهم اقتناعا كاملا ، فالقلة ، والقلّة
الضيّلة هي التي حاولت ، ولكن الكثرة ، والكثرة العريضة لم
تحاول شيئا من ذلك •

وات :

ألا تعتقد أن السويدين يكونون أكثر سعادة ، لو أنهم
دخلوا حربا تثير حمستهم ولو قليلا ؟

رسـل :

لا أعتقد أن هناك أدنى سبب لافتراض ذلك ، لا .. على
الاطلاق ، ففي عصرنا الحاضر نجد أن أكثر الشعوب مشتبكة في
حروب ، ومع ذلك فهي ليست في مثل سعادة شعب السويد ،
وهذا على الأقل هو الانطباع الذي خرجت به من أسفاري •

وات :

اذن ، هل يمكنك أن تقول ان الناس لم يكونوا سعداء
سعادة تامة بقيام الحرب العالمية الثانية ؟

رسل :

حسن ، لقد اتخذت الحرب العالمية الثانية مساراً مختلفاً كل الاختلاف عن المسار الذي اتخذته الحرب العالمية الأولى ، والذين كان عليهم أن يخوضوا غمار الحرب العالمية الأولى لم يكونوا سعداء بطبيعة الحال ؛ لأنهم كانوا معرضين للموت ، أما أولئك الذين لزموا بيوتهم فهم الذين أحبوا الحرب ، أما الحرب العالمية الثانية ، فكانت شيئاً مختلفاً كل الاختلاف ، وفي اعتقادي أن النس لم تكن لديهم المبالاة بالدافع إلى الحرب في الحرب العالمية الأولى .

وات :

تكلت في بداية هذه المحادثة عن الحرب ضد الأسباب ، وهي الحرب التي استدرجنا لدخولها ضد رغبات ولبول رئيس الوزراء ولكننا دخلناها استجابة لجنون الجماهير ، هل تعتقد أننا اليوم قد أصبحنا أقل رضوخاً لمثل هذا الجنون ؟

رسل :

لا ، لسنا قل رضوخاً في الوقت الحاضر : وفي اعتقادي أن التعليم الذي يعد الناس لأن يكونوا قادرين على القراءة لم

يستطع من خلال الصحافة أن يحد من زيادة جنون الجماهير ، غير أنه قد ظهر الآن في مواجهة الصحافة تيار مضاد بالنسبة لهذا الجنون ، وأقصد به جهاز التلفزيون ، فالناس الآن يتلقون أخبار العالم وهم جالسون في بيوتهم بدلا من الجلوس في قاعات كبيرة على هيئة تجمعات بشرية ، مما يعمل على اهتاج المشاعر ، وفي رأيي أن هذه التجمعات الكبيرة هي السبب الرئيسي في جنون الجماهير ، وكلما اتجهت هذه التجمعات في طريق الضمور والنقصان ، اتجه جنون الجماهير في نفس الطريق .

وات :

ألا تعتقد أن تجمعات الجماهير في ميدان الطرف الأغر على سبيل المثال ، يمكن أن تؤدي بسرعة الى اشعال هذا الجنون عندما توشك الحرب على الاندلاع ؟

رسل :

بالطبع ، اعتقد ذلك ، فميدان الطرف الأغر بعد كل شيء ، في متناول الجميع ، وما أيسر الوصول اليه ، وهو قادر على أن يقوم بهذا الدور ، ولكن ليس بنفس القدر الذي كان يمكن أن يقوم به من قبل . وفي رأيي أن كل شيء يصبح عبثا بمجرد أن

توشك الحرب على الاندلاع ، فالتجمعات البشرية سرعان ما تتدفق الى ميدان الطرف الأغر لتعبر عن استحسانها ، وسرعان ما تردد قرار الحكومة بتعريضهم جميعا للموت ، وهذا أمر شاذ وغريب ، وهو أمر غير متوقع من ذلك الشيء الذى تسميه الطبيعة البشرية ، ولكن هكذا تسلك الطبيعة البشرية ، وعزائى أن مثل هذا السلوك فى طريقه الى الضمور والنقصان •



المحاورة الثالثة

الشيوعية والرأسمالية

ودرو وات :

ما هي في رأيك يا لورد رسل ، أوجه التشابه بين الشيوعية والرأسمالية ؟

لورد رسل :

هناك في اعتقادي أوجه تشابه بين الشيوعية والرأسمالية ، تعد بمثابة النتيجة الحتمية اللازمة عن التقنية الحديثة ، فالتقنية الحديثة تتطلب عددا من المؤسسات الكبرى التي تدار بطريقة مركزية ، والتي تسفر عن نمط بعينة من الادارات التنفيذية التي تعمل من خلال هذه المؤسسات ، وهذا ما يحدث في البلاد

الشيوعية والرأسمالية على السواء ، طالما كانت هذه البلاد في طريقها نحو التنمية الصناعية .

وات :

هل تعتقد ان هذه المؤسسات الكبرى ، كما في روسيا وأمريكا على سبيل المثال ، يمكن ان تسفر عن تشابه في الاتجاه الفكري ؟

رسل :

أعتقد هذا . دون أن يكون التشابه تشابها كاملا ، أقصد أن هناك اختلافات في الدرجة دون أن تكون هذه الاختلافات في النوع . ففي تقديري أن ثمة تشابها كبيرا جدا بين المدير السوفيتي وبين رجل الادارة الأمريكي ، صحيح أن هناك قيودا أكثر على ما يمكن أن يعمله رجل الادارة الأمريكي ، ولكنهما من حيث النوعية .. نفس الرجل .

وات :

هل تعتقد أن هذا من شأنه أن يؤدي بالشعب في روسيا كما يؤدي بالشعب الأمريكي ، الى أن تكون لهما متطلبات متشابهة باعتبارها غابات مثلى في الحياة كالسيارات ، والمتطلبات المادية ، وما شابه ذلك ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أنها تجر الى ذلك بشكل كبير جدا ، وهناك في تقديري قدر كبير من الهراء الذي يقال عن الشعب الروسى ، وكيف أنه شعب مادى ، فأغلب الناس ، أولا وآخرا ، ماديون ، بمعنى أن الأشياء التي يحتاجون اليها ، هي الأشياء التي يمكن شراؤها بالمال ، وهذا جانب سوى في الطبيعة البشرية ، ولا أظن أنه يكاد يوجد فارق كبير بين الشرق والغرب فيما يتعلق بموضوع المادية ، كما اعتادت الدعاية أن تصور لنا ذلك .

وات :

ذهبت الى روسيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد فترة من الوقت ، عندما أطلق أغلب اليساريين صيحات التهليل لروسيا أبدت ملاحظات تنم عن عدم الاستحسان ، هل لازلت تعتقد أن ما كان يجرى في روسيا في ذلك الحين كان شيئا سيئا وغير مرغوب فيه ؟

رسل :

أوه ، هذا صحيح ، وفي اعتقادي أن نظام الحكم الذي ظهر في روسيا ليس مستحبا على الاطلاق . من وجهة نظري الخاصة ، فهو نظام لا يسمح بالحرية ، ولا يبيح حرية الحوار ، ولا يجيز

ابحث الحر في المعرفة ، انه نظام شحيح على الدوجماتيقيه
أو القطعية ، ويسمح باستخدام العنف في ابداء الرأي ، انه
يجيز القيام بعدد من الأشياء التي أراها كمفكر حر قديم بغضد
على النفس وتثير الاستمزاز •

وات :

هل تعتقد أن هذا النظام لا يزال يقوم بعمل هذه الأشياء ؟

رسل :

أوه ، اعتقد هذا ، وان كنت أعتقد في ذات الوقت ، ان
هذه الأشياء تحدث بدرجة من العنف أقل بكثير مما كانت عليه
في حياة ستالين ، ولكنها تحدث بالتأكيد •

وات :

تحدثت عن النظام الشيوعي في روسيا ، وكيف أنه يحول
دون حرية الفكر ، فكيف تسنى لهم رغم ذلك أن يحققوا مثل
هذا التقدم في المجال العلمي ؟

رسل :

حسن ، سوف اعترف لك بأنني كنت مشدوها بذلك ،
ولكنني أعتقد أنني ما كان ينبغي علي أن آكون كذلك • ولدينا

مثال اليابان ، فعندما بدأت اليابان تأخذ بأساليب العرب ، لم تأخذ بهذه الأساليب في الفكر ، ولكنها أخذت بها في التقنية فقط ، ومنذ أن هزمت في الحرب العالمية الثانية ، احتفظت بكل المعتقدات اليابانية القديمة ، على الرغم مما حققته من انجاز شامل في التقنية الحديثة . أما الروس فلم يحتفظوا بالمعتقدات القديمة ، ولكنهم جاءوا بعقيدة يمكنهم أن يفرضوها بالقوة وفي الوقت ذاته لا تتعارض مع التقنية . لقد عرفوا كيف يساعدون الناس على التفكير في المشكلات التكنولوجية دون أن يعملوا الفكر في أى شيء أرقى وأسمى .

وات :

هل تظن أن الشيوعيين في روسيا ، قد نجحوا في أن يضيفوا على الروس مزيدا من السعادة ، كتلك التي كانوا عليها من قبل؟

رسل :

لا أعرف حقيقة ، وفي ظني أنهم من الممكن أن يكونوا الآن أكثر سعادة ، فمن المؤكد أنهم لم يكونوا كذلك في أيام ستالين ففي أيام ستالين كان الروسى العادى أقل سعادة عنه في أيام القيصر ، وربما كانوا أكثر سعادة في هذه الأيام .

وات :

ما رايت في لينين بعد ان النمت به ؟

رسل :

أقول لك الحقيقة ، لقد أصبت بخيبة أمل لدى لقائي مع لينين ، ولا أملك بطبيعة الحال سوى التسليم بأن له بعض المزايا العظيمة للغاية ، فلهذه الشجاعة الفائقة ، والارادة الصلبة . والتصميم العظيم ، ولكنه كان أبعد ما يكون قدرة على تجسيد العقيدة ، الا فيما يتعلق بشخصه ، وبهذا المعنى كان لينين رجلا أميناً مع نفسه ، غير اني أعتقد أن العقيدة التي جاء بها كانت نسيئة الأفق ، ومن ثم كان متعصبا ، غير قادر على الاطلاق في التفكير فيما هو خارج الفلك الماركسي .

وات :

هل كن رجلا قاسيا غليظ القلب ؟

رسل :

نعم ، كان هذا هو الانطباع الذي خرجت به بعد مقابلتى ، غير اني لا أظن أنه كان في مثل قسوة ستالين ، ولو أنه على أية حال لا يخلو من ملامح القسوة .

وات :

ما هي في رأيك العيوب التي تؤخذ على الطريقة التي يعبر بها العالم الحر عن نفسه ، والتي يتبعها في قيادة زمام امره ؟

رسل :

حسن ، هناك عدد من العيوب ، غير أن أكثر هذه العيوب أهمية ، هي أن العالم الحر ليس حرا ، انه لا يحق له أن يحصل هذا الوصف : « العالم الحر » وافت تعلم بالطبع أننا جميعا في انجلترا كنا على حذر شديد من عهد الارهاب المكارثي الذي وجد في أمريكا ، ولكننا فيما أظن ، لا نستطيع أن نؤكد أن شيئا من هذا القبيل حدث عندنا ، فاذا أراد المواطن الأمريكي أن يلتحق بالخدمة العامة حامت حوله شبهة الجاسوسية ، ولا يكتفى بأن توجه اليه أسئلة مباشرة عن ميوله وأفكاره ، بل حتى أساتذة الجامعة كان ينتظر منهم أن يتصرفوا كما لو كانوا جواسيس الحكومة .

وات :

هل تقصد انه اذا ما تقدم أحد خريجي جامعة اوكسفورد بطلب للانتحاق بوظيفة في الخدمة الحكومية ، فانهم يتوجهون الى استاذة بالسؤال : « هل ترى انه شخص موثوق به من وجهة النظر السياسية » ؟

رسـل :

هذا ما حدث ، صحيح ان عددا كبيرا من الأساتذة رفضوا
الاجابه على مثل هذه الاسئلة ، ولكن هذا هو ما حدث فعلا ،
ولا أعرف ما اذا كان هذا قد حدث في جامعة أكسفورد ، ولكن
من المؤكد أن شيئا من هذا يحدث .

وات :

لنفترض جدلا أن الحكومة تخلت عن هذا الاجراء الوقائي .
كـى تتعاشى الحاق المواطنين بالخدمة الحكومية ، فمن ذا الذى
سيمد الحكومة بأسرار القوى الأجنبية ؟

رسـل :

لست أرى ذلك ، ولكن الذى أراه هو أن كل هذه الأعمال
المتعلقة بالجاسوسية والأسرار وماتر هذه الأمور، قد تمت بطريقة
مبالغ فيها ، مبالغ فيها الى أقصى حد . ومن ناحية الأمر الواقع:
فانا نجد أن الروس قادرون تماما على أن يكتشفوا لأنفسهم كل
شئ ، ولا أظن أن الجواسيس أو العملاء قد استطاعوا حقيقة أن
يحققوا لهم نفعاً أو يلحقوا بنا ضرراً ، وفي تقديري أن هذا نوع
من السلوك المثير ، الذى يمسك بخيال الناس .

وات :

ما هو العيب الآخر الذى تأخذه على العالم الحر فى الطريقة
التي يعبر بها عن نفسه ؟

رسل :

لا بأس ، ولكن دعنى أضرب لك مثالا آخر يدل على عدم
اهتمام العالم الحر بقضية الحرية ، لقد أعدوا أنفسهم للتحالف
مع فرانكو ، ونحن نعلم أن نظام حكم فرانكو ينطوى على كل
العيوب التي ينطوى عنها نظام الحكم الشيوعى ، فلو كنت
تتصرف بناء على أسس أيديولوجية ، لما كانت هناك مصالح
تجعلك تتحالف مع اناس يسلكون تماما نفس السلوك الذى
تزعم أنك تعارضه .

وات :

وبماذا تسمى هذا العالم ، لو لم تسمه بالعالم الحر ؟

رسل :

أسميه العالم الرأسمالى .

وات :

حتى لو شملت هذه التسمية بلادا ليست حقيقة بلادا
رأسمالية ، مثل السويد والنرويج والدنمارك ؟

رسـل :

ربما لم يكن من العدل تماما ان نطلق على مثل هذه البلاد مثل هذه التسمية ، وفي اعتقادي ان التمييز الحقيقى والهام هو الديمقراطية البرلمانية ، فالعالم العربى يؤمن بالديمقراطية البرلمانية ، فيما عدا بعض البلاد مثل اسبانيا والبرتغال ، ولكن العالم العربى بوجه عم يؤمن بهذه الديمقراطية ، فى الوقت الذى لا يؤمن بها العالم الشيوعى ، وهذا فى تقديرى هو أهم الفروق التى تميز كلا العالمين .

وات :

بصرف النظر عن الأشياء التى ذكرتها ، ما الذى تراه عينا حقيقيا فى المذهب الشيوعى ؟

رسـل :

فى رأى أن أكثر العيوب أهمية فى المذهب الشيوعى ، هو الايمان بالحكم المطلق ، وهو الايمان الذى أصبح حقيقة ايمانا باليا ، رغم وجوده فى كل أنواع الشيوعية ، ورغم الاصرار على وجوده بطريقة خاطئة ، فلو أنك جئت الى انسان خير وجعلت منه حاكما مطلقا ، فان حكمه المطلق سوف يعيش ، ولكن نزعتة الخيرة سوف تخبو وتذبل . والنظرية الشيوعية كلها تقوم على اعطاء أكبر قدر من السلطة لأشخاص موالين لعقيدة بعينها ، على

أمل أن يقوم هؤلاء الأشخاص باستخدام هذه السلطة استخداما
خيرا . وفي تقديري اننا اذا استثنينا نفرا قليلا جدا من الناس ،
فإن كل انسان انما يسيء استخدام السلطة ، وهنا يصبح اهم
ما ينبغى عمله ، هو توزيع السلطة بقدر الامكان ، وليس اعطاء
السلطة الضخمة لحفنة صغيرة من البشر .

وات :

هل تقصد بقولك هذا ان الشيوعيين في روسيا ، بعد أن
أسكوا عن هذا النظام من نظم الحكم ، لم يعودوا الآن يؤمنون
بديكتاتورية البروليتاريا أو الطبقة الكادحة ؟

رسل :

نعم ، هذا هو ما أقصده ، فكلمة بروليتارى كلمة دارجة
في روسيا ، رغم أنها من الكلمات المطاطة ، فعندما كنت هناك ،
وجدتهم ينظرون الى لينين على أنه بروليتارى ، في الوقت الذى
ينظرون فيه الى الشحادين البؤساء الذين يسيرون فى الشارع .
ولا يكادون يجدون ما يقتاتون به ، على أنهم من أتباع
البورجوازية .

وات :

فهمت ما تقصده ، ولكن دعنا ننتقل الى ناحية أخرى استطاعت الشيوعية أن تعمل فيها على نطاق واسع جدا ، وأقصد بها الصين ، هل تعتقد ان الصين أصبحت تشكل تهديدا كبيرا لما أريد أن أسميه الآن بالعالم الحر ، بصرف النظر عن مسألة البرلمان ، شأنها في ذلك شأن روسيا ؟

رسل :

نعم ، وربما شكلت الصين على المدى البعيد تهديدا أكبر ، فالصين أحدث عهدا بالشيوعية من روسيا ، ولا تزال تمر بمرحلة التعصب التي تجاوزها الروس ، هذا فضلا عما في الصين من كثافة سكانية أكبر بكثير من تلك التي توجد في روسيا ، وكثافتها السكانية تتألف من الكادحين بحكم طبيعتهم ، أعنى أنهم ظلوا كادحين على الدوام . ولهذا كله فإن الصين مؤهلة لأن تكون دولة أقوى من روسيا بكثير ، وأحسب أن لديها عددا غير قليل من الرجال العظام .

وات :

هل تعتقد أن الروس ينظرون الى الصين بمثل هذه النظرة ؟

رسـل :

حسن أنت تعلم أن الانسان لا يستطيع أن يفتى في هذا الأمر ، ولكن الروس على درجة كبيرة من البراعة اذا ارادوا لك ألا تعلم شيئا عن الحقيقه ، وادا اعزت الى ذلك في صورة سؤال ، ستجدهم شديدي الحذر في الاجابة ، ولكن على الانسان أن يفترض ذلك ويتوقعه •

وات :

هذا مفهوم ، ولكن هل تعتقد أن امتناع الروس عن اعطاء الصين أسرار القنبلة الذرية والهيدروجينية مسألة ذات دلالة ؟

رسـل :

أوه ، بالطبع ، هذا ما أعتقد وأراه ••

وات :

وهل تعتقد أن التوتر القائم بين العالم الشيوعي والعالم غير الشيوعي ، من شأنه أن يصيب قضية الحرية بقدر كبير من الأضرار ؟

رسـل :

أوه ، بالطبع ، أنه يصيب الحرية بضرر جسيم ، وأية حالة من التوتر مثل هذه الحالة لا يمكن اغتفارها ، فهي تحول بين الناس وبين وضوح التفكير . وأنت ترى ان الشرطه سواء في الشرق او في الغرب ، تعتقد انك لو درست النظام المخالف لوافقت عليه بالضرورة ، وعلى ذلك لا ينبغي ان يسمح لنا بان نعرف عنه أى شيء ، وهذا في حقيقته هو العبث ، وهو أحد الأصرار الناجمة عن التوتر القائم بين المعسكرين . أما الضرر الآخر ، فهو اشاعة جو من الشك والارتياب ، يترتب عليه وضع الناس بدون وجه حق موضع الاتهام ، مما يؤدي بهم الى الهلاك أو الدمار . ان هذه الحالة من حالات التوتر تؤدي في اعتقادي الى العديد من الأصرار ..

وات :

ولكن ، كيف يمكنك أن تتوقع من الروس ، أن يسمحوا لشعبهم بحرية دراسة الأنظمة البرلمانية في العالم الديمقراطي ، طالما كانت هذه الدراسة ستؤدي بهم الى النظر الى نظام الفكر الحر ، على أنه أفضل من النظام الذي يعيشون في كنفه ؟

رسل :

حسن ، لسوف يكون هذا شيئا متبادلا ، فهناك في أمريكا كما تعلم عقبات حقيقية توضع في طريقك لو أنك أردت أن تدرس النظام الروسى ، وعلى ذلك ينبغى أن تكون هناك موافقة متبادلة بأن يسمح أحدهما بدراسة الآخر ، وفي اعتقادى أننا بمقدار ما سوف نجد عددا كبيرا من الأمريكان يفضلون النظام الروسى ، سنجد عددا مماثلا من الروس يفضل النظام الأمريكى .

وات :

ولكن الشعب في بريطانيا يدرس الشيوعية بصورة مجنونة؟

رسل :

نعم ، بالطبع ، فهناك ثغر بعينه من الشعب يميل الى تفضيل الشيوعية ، وهؤلاء يسمح لهم بالدراسات الجامعية ، وهو ما لا يسمح بمثله في أمريكا .

وات :

هل تعتقد أنه من الممكن بالنسبة لكل من الشيوعى والرأسمالى ، أن يتعلما كيف يعيشان جنبا الى جنب في عالم واحد؟

وسل :

نعم ، هذا ممكن بالتأكيد ، والمسألة انما تتوقف فحسب على أن يعتاد أحدهما على الآخر ، خذ على سبيل المثال المسيحيين والمسلمين ، لقد حارب كل منهما الآخر ما يقرب من الستة قرون ، فى الوقت الذى لم يحقق فيه أحدهما أى انتصارات على الآخر ، وفى نهاية المطاف صاح أحد الناس ممن أوتوا الحكمة والفضة ، قائلا : « انظروا ، لم لا نوقف هذا القتال الدائر بيننا ونكون أصدقاء » ، وبالفعل أوقفوا القتال ، وصاروا أصدقاء ، وأصبح كل شيء بينهم علمى ما يرام ، ونفس الشيء يمكن أن يحدث بين الشيوعيين والرأسماليين ، بمجرد أن يتأكد كل من الجانبين أنه لن يستطيع أن يكسب العالم وحده .

وات :

ولكن ، كيف يمكن لهما أن يتوصلا الى هذه الحقيقة ؟

وسل :

أوه ، بالتجربة ، ولن نستطيع بطبيعة الحال أن ننتظر ستة قرون ، لأنه لن يتبقى أحد منا على قيد الحياة بعد ستة قرون من النزاع ، كذلك التى كانت بين المسيحيين والمسلمين . ولكنى أعتقد أنه من الممكن جدا أن تلتقى الحكومات من كلا المعسكرين ليؤكدوا فيما بينهم أنه لا بد لهم من التوافق والاتفاق .

المحاودة الرابعة

أخلاق المحرمات

ودرو وات :

ماذا تقصد بالورد رسل بمباراة أخلاق المحرمات ؟

لورد رسل :

حسن ، أقصد بأخلاق المحرمات ذلك النوع من الأخلاقيات الذى يحتوى على مجموعة من القواعد الأساسية بالنسبة لأشياء لا ينبغى على الانسان أن يقتربها ، دون أن يكون هناك أى تبرير عقلى لهذه القواعد . صحيح أن هذا التبرير قد يوجد أحيانا وقد لا يوجد أحيانا أخرى ، ولكن هذه القواعد على أية حال ، تعتبر قواعد مطلقة ، وهذه الأشياء لا ينبغى على الانسان أن يقتربها أبدا .

وات :

اي نوع من الانبياء ؟

رسل :

حسن ، فهذه الاشياء الان ، صارت تتوقف على المستوى الحضارى ، ذلك لأن أخلاق المحرمات خاصة مميزة من خواص العقل البدائى ، انها فى اعتقادى الشئ الوحيد الذى كانت تتميز به القبائل البدائية ، فمن أخلاق المحرمات مثلا ، تحريم الأكل فى الأواني والصحون التى يستخدمها رئيس القبيلة ، فاذا ما اقترف أحد أفراد القبيلة مثل هذا الاثم ، كان مصيره الموت كما يقولون . هذا وتوجد معتقدات مختلفة على شاكلة هذا النوع من أنواع التحريم ، ولعلى أذكر أنهم فى مملكة داهومى يلتزمون بقاعدة تحرم على الملك أن ينظر طويلا فى اتجاه واحد . لأن العواصف تهب على المنطقة التى يطيل فيها النظر ، ولذلك كان لزاما عليه أن يحرك رأسه فى جميع الاتجاهات .

وات :

حسن ، هذه هى أنواع المحرمات فيما يمكننا أن نعتبرها مجتمعات بدائية ، فماذا عن هذه المحرمات فى مجتمعاتنا نحن ؟

رسل :

لا بأس ، فحتى أخلاقياتنا نحن حافلة هي الأخرى بمثل هذه المحرمات ، ففيها كل أنواع المحرمات ، حتى في أكثر الأشياء مهابة وجلالا ، فعندنا الآن من الآثام ما يعد اثما حقيقيا ، ولو أتى لم اقترب هذا الاثم على الاطلاق ، ألا وهو الذى ينهى : «ولا تشتتهى لنفسك الثور الذى عند جارك » ، وأنا ليس عندي الآن أى ثور من الثيران •

وات :

أجل ، ولكن ماذا عن المحرمات اليومية التى تصادفها كل يوم كأمر واقع ، هل لديك أمثلة على مثل هذه المحرمات ؟

رسل :

أوه ، نعم هناك بطبيعة الحال قدر كبير من أخلاق المحرمات التى يمكن اعتبارها منسجمة انسجاما كاملا مع مايمكننى أن أسميه بالأخلاق العقلانية ، من ذلك مثلا أن الانسان يجب عليه ألا يسرق ، ويجب عليه ألا يقتل ، فهذه بمشابة مبادئ سلوكية تتسق مع العقل اتساقا تاما . غير أن هناك مجموعة أخرى من المحرمات ، لها من الأهمية مالا تستحقه على الاطلاق ، ومن ذلك مثلا ما يعد جريمة قتل ، حتى ولو كان قتلًا بدافع الرحمة ، كما فى حالة المريض الميئوس من شفائه ، فهذا فى اعتقادى لا يقابل من الانسان العقلانى الا بالتأييد والاستحسان •

وات :

هل تعد من أخلاق المحرمات ما يقوله الهندوس عن تحريم أكل لحم البقر ؟

رسل :

نعم ، هذا مثال نموذجي لأخلاق الهندوس ، فالهندوس يحرمون أكل لحم البقر ، تماما كما يحرم المسلمون واليهود أكل لحم الخنزير ، مع أنه لا يوجد تفسير عقلي لذلك ، وانما هو نوع من أخلاق المحرمات ..

وات :

حسن ، ولكن الا تعتقد أن هذه المحرمات يمكن أن تحقق غرضا من الأغراض ؟

رسل :

بعضها دون البعض الآخر ، وكلها في النهاية تتوقف على الغرض الذي تعمل على تحقيقه ، أعنى أنك اذا اتخذت معيارا عقلانيا لسلوكك الأخلاقي ، - حينئذ تستطيع أن تنظر الى المحرمات لتمييز فيها بين النافع والضار . وان كنت أعتقد أن تحريم أكل لحم البقر ، ليس وراءه نفع على الاطلاق .

وات :

حسن ، ولكن اذا كنت لا تؤمن باخلاق المحرمات ، واذا كنت أيضا لا تعتقد كثيرا فى القواعد اللاأخلاقية لاخلاق المحرمات هذه ، فهل تؤمن بأى نظام أخلاقى عام ؟

رسل :

نعم ؛ غير أنه من الصعوبة بمكان ، أن تفصل الأخلاق عن السياسة فصلا تماما ، فالأخلاق كما يبدو لى انما تنهض عبر هذا الطريق ، فالانسان انما ينزع الى فعل ما ينفعه وما يضر الآخرين ، لا بأس ، ولكن فعله اذا ما عاد بالضرر على عدد كبير من الناس . فلسوف يجتمعون معا ويقولون : « انظروا الى مثل هذا السلوك ، اننا لا نستحبه ، ولسوف ننظر اليه على انه لا يحقق أى نفع للانسان » . ان مثل هذا السلوك ، انما يرجع فيه الى قانون العقوبات ، وهو فى رأى قانون عقلاى الى أقصى حد ، أنه أسلوب من أساليب التوفيق بين المصلحة الشخصية وبين الصالح العام .

وات :

ولكن الا ترى انه من غير الملائم أن يضع كل انسان لنفسه نظامه الاخلاقى الخاص ، بدلا من أن يتقبل النظام الاخلاقى العام ؟

رسل :

هذا صحيح ، ولكن الأمر ليس كذلك ، لأن كل انسان في الواقع ، ليست له خصوصياته المنعزلة تماما عن المجموع ، فهم جميعا ، كما كنت أقول منذ قليل ، يجدون ما يضمن خصوصياتهم في قانون العقوبات ، وبعيدا عن قانون العقوبات هناك الاستحسان الجماعي والاستهجان الجماعي ، فالتاس لا يحبون أن يتعرضوا للاستهجان الجماعي ، وفي هذه الحالة فن القانون الأخلاقي المتفق عليه ، يصبح قانونا نافذا وفعالا .

وات :

هل هناك ما يمكن تسميته بالخطيئة ؟

رسل :

لا ، فالخطيئة في تصوري شيء يصعب تعريفه ، فان كنت تقصد بها مجرد الأفعال غير المستحبة ، فهناك بطبيعة الحال أفعال مستهجنة وغير مستحبة ، وعندما أقول « غير مستحبة » فانما أقصد بها تلك الأفعال التي تعود بالضرر أكثر مما تعود بالنفع ، وهناك بالطبع أفعال من هذا القبيل ، غير أنني لا اعتقد أن الخطيئة يمكن ان يكون لها تصور نافع ، فالخطيئة فعل يصح

أن يعاقب عليه ، كما في فعل القتل ، لا لمجرد أننا نريد أن نمنع جرائم القتل ، ولكن لأن القاتل يستحق أن يعاني من جراء ما اقترفت يده .

وات :

هل معنى هذا ان فكرة الخطيئة تظل مقصورة على الحالات التي ترتكب فيها أفعال القسوة ؟

رسل :

أعتقد هذا اعتقادا كاملا ، وفي تصوري ان قساة البشر وحدهم هم الذين يستحقون الجحيم ، أما أولئك الذين يتمتعون بالمشاعر الانسانية ، لا ينبغي أن ياملوا معاملة هؤلاء الذين يعيشون في الأرض فسادا ، فتحق عليهم لعنة القبيلة ، وانما ينبغي أن تتاح لهم فرصة التعديل والتنقيح لما يمكن أن يلاقوه من معاناة في قواعد الأخلاق ، ومع ذلك فلا أعتقد أن أولئك الذين يتمتعون بدمائة الخلق ، قد تبنا هذه النظرة قط .

وات :

اذن ، فأنت تنظر الى مفهوم الخطيئة على أنه مجرد امكانية القضاء على المشاعر العدوانية ؟

رسل :

نعم ، أعتقد هذا ، بل ان هذا هو جوهر ما يمكن تسميته
بالأخلاق الصارمة ، انها تدفعك الى تعذيب الآخرين بدون الشعور
بالذنب ، ولذلك فهي شيء سيء •

وات :

كيف يمكننا أن نقبل أشياء ونرفض أشياء ، اذا لم نوافق
على افتراض أن هناك شيئاً من قبيل الخطيئة ؟

رسل :

حسن : ان القبول أو الرفض ذاتهما ، منصوص عليهما في
قانون العقوبات ، حيث يمكنك فيما أعتقد أن تجد كل ما يمكنك
أن تفعله • ان ما تحتاج اليه حقا هو نوع من الرأي العام ،
والآن تستطيع أن ترى مدى أهمية قراءة تاريخ النهضة الايطالية،
هذا التاريخ الذى أسفر عن ظهور كل النظريات الميكافالية ،
فالرأى العام فى ذلك الوقت أباح أشياء ما كان يمكن أن يبجحها
فى أوقات أخرى •

وات :

هل توافق اذن على أن هناك من الأفعال ما يمكن اعتباره
أفعالا شريرة ؟

رسل :

لا أحب استخدام هذه الكلمة .. كلمة « شريرة » فأنا
أميل الى استخدام تعبير أفعال ضارة وأفعال نافعة ، أو أفعال
تعود بالضرر أكثر مما تعود بالنفع . وإذا صادف الانسان مثل
هذه الأفعال فلا ينبغي عليه أن يأتيها ، ومع ذلك تستطيع أن
تستخدم كلمة « شريرة » ولكنى لا أعتقد أنها كلمة مفيدة .

وات :

ان جانبا كبيرا من أخلاق المحرمات يمس العلاقات
الجنسية ، كما ان جانبا أكبر من اتناجك وكتاباتك قد دار حول
العلاقات الجنسية ، فما هى النصيحة التى يمكنك أن تسديها
الآن ، لأولئك الذين يريدون أن يقودوا سلوكهم عن اقتناع
واضعين الجنس موضع الاعتبار ؟

رسل :

حسن ، أود أن أقول بادية ذى بدء ، ان كل ما كتبتة عن
الجنس لا يتعدى الواحد فى المائة من كتاباتى ، ولكن الرأى

انعام لفرط اهتمامه بالجنس لم يلاحظ التسعة والتسعين الأخرى من كتاباتي التي لا علاقة لها بالجنس . وانما أردت ان أوضح ذلك في بداية تناولي لهذا الموضوع . وفي نصوري أن تخصيص واحد في المائة لهذا الموضوع انما هو قدر معقول بالنسبة الى الاهتمام الانساني . ومع ذلك فسوف أتناول أخلاق الجنس تماما كما تناولت أى موضوع آخر . وفي تصوري أن الانسان اذا أتى من الأفعال مالا يلحق أى ضرر بأى انسان آخر . لم يكن هناك ما يسوغ ادانة هذه الأفعال . ولا ينبغي علينا أن ندينها بأى حال من الأحوال ، لمجرد أن بعض المحرمات القديمة قد أداتها من قبل . وانما الواجب علينا أن ننظر فيها لنرى ما اذا كانت ستلحق بالآخرين مثل هذا الضرر أم لا ، وهذا هو الأساس في أخلاق الجنس ، شأنه شأن كل نوع آخر من أنواع الأخلاق .

وات :

هل تقول بدانة فعل الاغتصاب .. سواء أكان اغتصاب فتاة أو امرأة ، بينما فعل الزنا العادى ، طالما انه لا يؤذى أحدا . لا ينبغي اداتته بالضرورة ؟

رسل :

نعم ، أقول بكل تأكيد ان فعل الاغتصاب يشبه تمساح

الشبه أى فعل آخر من أفعال العنف البدنى ، أما فى حالة الزنا العادى ، فىنبغى النظر فى ظروف ارتكاب هذا الفعل ، لنرى ما اذا كان هناك مبرر لادائته أم لا ، ولكن لا فىنبغى المبادرة بالادانة فى كل الأحوال كأننا ما كانت الظروف .

وات :

هل تعتقد انه من الصواب أن تكون لدينا قواعد لما يمكن ومالا يمكن أن ينال منا العقاب ؟

رسل :

حسن ، فهذا سؤال يجعلنى أشعر بالانتقال الى الطرف الأقصى من القضية ، القضية التى أخشى الا يتفق معى فيها الا العدد القليل ، والقليل جدا ، فى اعتقادى أنه لا فىنبغى أن توضع أية قواعد لحظر النشر أو المطبوعات مهما كانت غير ملائمة للظروف ؛ لأنه اذا وجدت مثل هذه القواعد فلسوف يعمد الأغباء من القضاة الى ادانة الأعمال ذات القيمة الحقيقية اذا ما أحدثت لهم نوعا من الصدمة .. هذا أحد الأسباب . السبب الآخر هو ما اعتقده من أن عملية الحظر هذه ، انما تزيد بطبيعتها من اهتمام الناس بالاباحية فى الأدب والفن ، شأنها فى أى مجال آخر . لقد كنت أذهب الى أمريكا فى مثل هذه الفترات من الحظر ، فكنت أجد عدد السكارى أزيد بكثير عما

كنوا عليه من قبل ، والغريب ان عملية الحظر بالنسبة للاباحية ذاتها تؤدي الى نفس النتيجة ، وسأضرب لك الآن مثلا يوضح ما أقصده بعملية الحظر ، كان الفيلسوف اليوناني أمباد وقليس يعاني عذابا أليما لأنه مضغ أوراق شجر الفار ، وكان يؤله أن يقضى عشرة آلاف سنة في هاوية الظلام حتى تغفو عنه الالهة ، وأنا لم أعلمنى أحد أن مضغ أوراق شجر الفار شيء محرم لذلك لم أمضغه أبدا ، أما أمباد وقليس فقد علموه أن هذا الشيء محرم لذلك وقع في الخطيئة ، وفي اعتقادي أن نفس الشيء ينطبق على عملية الاباحية •

وات :

هل ترى ان اباحة نشر أى عمل يكتبه أى انسان حتى ولو كانت له طبيعة فاضحة ، من شأنه الا يزيد من فضول الناس على الاطلاق ؟

رسل :

في تقديري أن ذلك يقلل من فضولهم ، لنفترض على سبيل المثال ، اننا منعت تداول البطاقات البريدية الفاحشة ، أوكد لك أنه في خلال العام الأول أو العامين التاليين سيزداد الطلب عليها بشكل كبير الى أن يمجها الناس ، فلا يقبل عليها أحد بعد ذلك •

وات :

ونفس الشيء ينطبق على الكتابة وعلى كل شيء آخر ؟

رسل :

أعتقد ذلك ، ولكن في حدود ما هو معقول ، أقصد اذا كان الناس بصدد قطعة فنية رائعة أو عمل أدبي رفيع ، فانهم سوف يقبلون عليه لهذا السبب ، وليس لما ينطوى عليه من أباحية .

وات :

دعنا نعود الآن الى ما كنا نتحدث عنه من قبل ، وأعنى به القواعد غير المعقولة لأخلاق المحرمات ، ترى ما هي الأضرار التي يمكن أن تلحقها بنا الآن ؟

رسل :

حسن ، انها تلحق بنا نوعين مختلفين من الأضرار ، أول هذين النوعين من الأضرار أنها فضلا عن كونها قديمة وبالية ، فقد انحدرت الينا من مجتمع مختلف تماما عن نوع المجتمع الذي نعيش فيه . كانت هذه الأخلاق تلائم ذلك المجتمع ، ولم تعد بأى حال من الأحوال تلائم عصورنا الحديثة ، وليس أدل على ذلك من عملية التلقيح الصناعي التي نأخذ بها الآن ، ولم

تفكر فيها على الاطلاق تلك الأخلاق القديمة ، هذا نوع من أنواع الضرر . النوع الآخر هو أن أخلاق المحرمات تميل الى تمجيد أعمال العنف العنيفة . وأستطيع أن أضرب لك عدة أمثلة على ذلك . . خذ على سبيل المثال الأضححية البشرية ، لقد بدأ اليونان في حقبة باكرة جدا من تاريخهم ، يتحولون عن شعائر الأضححية البشرية التي كانوا يقدمونها قرابين للالهة ، ويحاولون أن يهذبوا من هذه الشعائر ، ولكنهم ووجهوا بأحد المجتمعات التي ترفض هذا التهذيب، وتحول دونه، وهو المجتمع الذي كانت توجد فيه كاهنة معبد دلفي . لقد كان مجتمعها يعيش على هذا المعتقد الخرافي ، ولم يشأ أن يعمل على تهذيب هذه الخرافة ، ومن ثم ظل يمارس شعيرة تقديم الأضححية البشرية لفترة طويلة من الزمن ، حتى بعد أن تخلى عنها اليونان .

هذا مثل من الأمثلة ، وأستطيع أن أضرب لك مثالا آخر لا يقل عن ذلك أهمية . لقد كان يعتقد باستمرار أن تشريح الجثة انما هو عمل من الأعمال الشريرة ، الى أن جاء فاسيليوس الذي كان طبيبا بارعا في عهد الامبراطور شارل الخامس ، ليبرهن على أننا لن نستطيع أن نجرى عمليات طبية كبيرة لها اهميتها البالغة ، ما لم تشرح الجثة ، وبالفعل مارس عملية التشريح ، وكان الامبراطور شارل الخامس مرضا في ذلك الحين،

ولم يكن أمامه سوى الدكتور فاسيليوس الذى يستطيع أن يشفيه من مرضه ، ولذلك عمل على حمايته . ولكن الامبراطور بعد أن تنازل عن العرش ، لم يجد فاسيليوس من يحميه ، وسرعان ما أدين لاقدامه على تشريح احدى الجثث التى قيل عنها انها لم تكن قد فارقت الحياة ، وكنوع من العتوية أرسل فى رحلة طويلة خارج البلاد ، وفى أثناء الرحلة غرقت به السفينة ، ومات فاسيليوس مما لاقاه من عنت ، وتلك كانت نهايته ، وما كان يحدث هذا كله ، لو لم يوجد مثل هذا التحريم لعملية تشريح الجثث . وليس من شك فى أن أخلاق المحرمات تعود علينا بالضرر فى هذه الأيام ، خذ مثلا مسألة تحديد النسل ، انها تصادف تحريمات بالغة القوة من جماعات بعينها داخل المجتمع ، على الرغم مما يؤدى اليه هذا التحريم من ضرر بالغ ، بل أكاد أقول ضرر جسيم ، أن مثل هذه الجماعات انما تساعد بعملها هذا على انتشار الفقر ، واندلاع الحرب ، بدلا من أن تساعد على حل الكثير من المشكلات الاجتماعية .

هذه فى اعتقادى هى أكثر الأمثلة أهمية ، وان كان هناك العديد من الأمثلة الأخرى ، فالزواج الأبدي الذى لا طلاق فيه ، هو فى اعتقادى نظام بالغ الضرر ، لقد قام بالتدرج على تراث عتيق ، ولم يقم على اختبار ظروف العصر الحاضر .



المحاورة الخامسة

السلطة

ودروات :

ما هي يالورد رسل ، الدوافع التي تدفع الناس الى طلب
السلطة ؟

لورد رسل :

أود أن أقول ان الدوافع الأساسية لطلب السلطة ، بصرف
النظر عن الدوافع الأخرى التي يستمد منها الناس جهم للسلطة ،
انما تبرز في الأوقات التي يتعرض فيها الناس لخطر مجاعة
مفاجئة ، فعندما يتأكد لك أن مصدر الغذاء لم يعد كافيا ، دون
أن تشعر بأية معاناة ، فهذا معناه أنك تقف في موقف السلطة.

وات :

وما هي أنواع السلطة التي يمكن ان تنبثق عن هذا الرأي؟

رسل :

حسن ، هناك وسائل متعددة لتصنيف السلطات ، من اوضحها في رأيي ، السلطة المباشرة على الجسد ، انها سلطة الجيوش وقوات الشرطة ، ثم هناك سلطة الثواب والعقاب ، التي يمكن تسميتها بالسلطة الاقتصادية ، ثم هناك أخيرا سلطة الدعاية ، أو سلطة الاقناع ، وفي اعتقدي أن هذه هي الأنواع الرئيسية الثلاثة للسلطة .

وات :

هل يمكن بالورد رسل القول بوجود دوافع حسنة ودوافع سيئة لطلب السلطة ؟

رسل :

أود أن أقول مؤكدا ، أن كل انسان ممن كان له أي تأثير هام في العالم ، كان مفتونا بشكل أو بآخر بعب السلطة ، وهذا الكلام ينطبق على القديسين بمقدار ما ينطبق على المجرمين ، بل هو في اعتقادي ينطبق كذلك على كل شخص يتمتع بالحياة والنشاط .

وات :

الا يحدث غالبا ، ان يحتاج الانسان الذى يعنى افضل
الاشياء ، الى طلب السلطة ايضا لما يتطوى عليه من تفاهة
، وابتدال ؟

رسل :

نعم ، ان هذا كثيرا ما يحدث ، ذلك لأن الولع الشديد
بالسلطة ، يرجع الرغبة فى الحصول على هذا الشيء أو ذاك من
الاشياء ، وهذا ما جعل اللورد أكتون يقول قوله الصحيح من
أن السلطة مفسدة ، لأن المتعة التى تنتج عن ممارسة السلطة ،
انما يستفحل أمرها مع ممارسة السلطة ذاتها ، خذ «كرومويل»
على سبيل المثال ، تجد أنه بلا أدنى شك ، قد مضى فى السياسة
بدوافع داخلية جديرة بالثناء ، فثمة أشياء بعينها ، كان يرى فى
انجازها أمرا بالغ الأهمية بالنسبة للدولة ، ولكنه بعد أن مكث
فى السلطة لفترة طويلة من الزمن ، استغرقه حب السلطة ، وهذا
ما يجعله يقول وهو على فراش الموت • انه كان يخشى أن يحرم
من النعمة الالهية • أوه ، نعم بكل تأكيد ، ان كل انسان يبدى
قدرا كبيرا من الطاقة الحيوية ، لا بد وأن يطلب السلطة • ولكن
ما أطلبه هو نوع واحد بعينه من السلطة ، وأعنى به سلطة ابداء
• الرأى

وات :

هل تعتقد أن ما تتمتع به من سلطة الفكر أو ابداء الرأي
قد افسدتك ؟

رسل :

لا أدري ان كان ذلك قد حدث أم لا ، فلست أنا الذي يرد
على هذا السؤال ، وفي رأيي أن الآخرين هم الذين ينبغي أن
يكونوا قضاتي في هذا الشأن .

وات :

هل يمكننا أن نعود أدراجنا الى أنواع السلطة الثلاثة ؟
ونبدأ بالسلطة المادية ، سلطة الدولة أو الشرطة ، باعتبارها
مظهرا لسلطة الحكومة ، هل تعتقد أنها ضرورية أو لازمة ؟

رسل :

نعم ، فلانسان يحتاج الى أعمدة السلطة المباشرة ، لحمايته
مما قد يعرض له من أضرار ، وتلك كانت الفكرة من اقامة سلطة
القضاء ، لحماية الفرد مما قد يعرض له من اتهام ، فانت تستطيع
أن توجه الاتهام الى أى انسان يتراءى لك أنه قد ارتكب خطأ
من الإخطاء ، ومن الأهمية بكان أن يحدث ذلك ، من الأهمية
بمكان .

وات :

وهل تعتقد أن هذا هو ما يحدث حقيقة الآن ؟ ألا تعتقد أن الناس لم تعد لديهم الحماية الكافية لا من السلطة الحاكمة ولا من سلطة الشرطة ، ولا من أية سلطة أخرى ؟

رسل :

أوه . أعتقد أن هذا صحيح ، ولكنه ليس يسيرا الى هذا الحد ، أن ترى ما ينبغي عمله في هذا الصدد ، ففي العالم الحديث ، تتخذ القرارات بسرعة بالغة ، وهذا يعنى ضرورة ترك صلاحية اتخاذ القرارات في أيدي القلة القليلة ، بحيث لا تصبح مصادرة قراراتهم أمرا يسيرا ، ولكنها على أية حال ، مشكلة بالغة الأهمية ، وينبغي على الانسان أن يضعها موضع الاعتبار .

وات :

وكيف يمكننا أن نعالج هذه المشكلة ؟

رسل :

حسن ، ان الأمر يتوقف على الجانب الذى تفكر فيه من جوانب الحياة ، وفي مقدورى ان افول على سبيل المثال ، ان سلطة الشرطة ، قد تزايدت في كثير من دول العالم الحديث ،

حتى أصبحت تشكل خطرا بالغا في الواقع ، فحيثما حاول الشيوعيون أن يستولوا على مقاليد الأمور في أية دولة من الدول ، لم تكن من قبل خاضعة لنفوذهم ، فأول ما يحاولون الاستيلاء عليه هو ادارة الشرطة . ومن خلالها يستطيعون أن يضعوا في السجن من يشاءون ، وأن يقدموا الدليل على جرمته . وعلى ذلك فان سلطة الشرطة في اعتقادي يمكن أن تكون شيئا بالغ الخطورة ، وتأسيسا على هذا ، أود أن أرى في كل مكان سلطين للشرطة ، سلطة لتوجيه الاتهام ، وسلطة لاثبات البراءة .

وات :

ألا ترى أن هذا من شأنه تعقيد الأمر ، فضلا عما ينطوي عليه من تفقات باهظة بالنسبة للحكومات ؟

رسل :

نعم : بالتأكيد هذا صحيح ، ولكن افترض على سبيل المثال ، أنك قد اتهمت بجريمة قتل ، أن دافع الضرائب ، هو الذي يتحمل كل النفقات التي من شأنها اثبات جرمتك، أما أنت فمليك أن تثبت براءتك على حسابك الخاص ، عليك أن تتحمل تفقات اثبات أنك لم ترتكب جريمة القتل ، وهذا فيما يبدو ليس عدلا . اننى أفضل أن ينجو التسعة وتسعون في المائة من

المذنبين ، على أن يدان برىء واحد ، ولكننا فيما يبدو ، نوجه أمورنا في الطريق الآخر . فليس أكثر بؤسا وتعاسة . من أن يدان تسعة وتسعون بريئا لكى ينجو من العقاب مذنب واحد ، وذلك لأننا نعتقد أن دافع الضرائب عليه أن يدفع نفقات اثبات ادانة المذنب ، أما الشخص العادى ، فعليه أن يتحمل نفقات اثبات براءة البرىء •

وات :

نعم ، ولكن الذى لا يحدث فى الأعم الأغلب ، هو أن يدان انسان على سبيل الخطأ ، ولا يحتاج مثل هذا الأمر ، لأن تتحمل الدولة كل هذه التكاليف الباهظة ، لكى تتأكد من حين لآخر ، من أن أحد الأفراد لم يتهم زورا بجريمة من الجرائم ؟

رسل :

نحن لا نعرف ما اذا كان ذلك لا يحدث فى الأعم الأغلب ، وهذا جانب من جوانب القضية ، وهو الجانب الذى لا تحب الشرطة أن تفتشى سره ، وعلى كل حال ، فيكفى أننا نعرف أنه يمكن أن يحدث فى الغالب ، وصحيح أننا لا نعرف على وجه التحقيق ، ولكن على أية حال ، فإن هذه النفقات الباهظة ، لن تكون أكثر بكثير مما ينفق فى الوقت الحاضر ، من أجل توجيه الاتهام •

وات :

والآن ، دعنا ننتقل الى الكلام عن الاجراءات الحكومية ، هل تعتقد ان الحكومات لا ينبغي أن تكون لديها الحرية في اتخاذ القرارات بمثل هذه السرعة ، دونما رجوع الى الناخبين ، أو شيء من هذا القبيل ؟ ولو افترضنا ذلك ، ألا ترى أنه يشكل قدرا هائلا من الخوف وعدم الكفاية في اتخاذ القرار ؟

دسل :

نعم ، بالتأكيد ، هذا صحيح ، وهناك بعض الأماكن في العالم الذي نعيش فيه الآن ، يستحيل فيها الرجوع في القرارات الى مجلس الشعب أو أي مجلس من هذا النوع ، حتى مسائل الحرب والسلام ، وهي أكثر المسائل جميعا أهمية ، انما تتخذ فيها القرارات بسرعة ، وانما يحتاج الأمر الى تغيير كبير جدا في كافة الأنظمة في العالم بأسره . حتى تتخذ قرارات الحرب أو السلام ، بتريث وهوادة ، بحيث يمكن أن يعاد فيها النظر مرة أخرى . ولو أننا قدرنا على ذلك ، لكان ذلك أمرا عظيما للغاية .

وات :

ولكن ألا يؤدي هذا الى نوع من عدم الكفاية في اتخاذ

القرارات ؟

وسل :

اتى أعتقد اعتقادا جازما ، أنه حيثما تتخذ القرارات السيئة ، فإن ما تسميه بعدم الكفاية يكون أفضل ، فتلك هى الطبيعة البشرية ، أو هكذا كانت وحتى الآن ، حيث يرتكب عدد كبير جدا من الأفعال السيئة ، التى يشعر الناس ازاءها بالقلق الشديد الذى يعزى الى الكفاية . وربما كان من حق الانسان أن يقول ان بقاء الجنس البشرى انما يعزى الى عدم الكفاية ، ولو أن عدم الكفاية قد أصبح محدودا فى الوقت الحاضر ، ومن ثم غدا الجنس البشرى مهددا بالانقراض .

وات :

ولكن ، كيف يمكن للبلادة وعدم الكفاية أن يساعدا على بقاء الجنس البشرى ؟

وسل :

بأن يحدد الجنس البشرى طاقته على أن يقتل بعضه البعض الآخر ، فلو كنت قاتلا ماهرا لكنت كفاءا ، ولكان ضحيتك عدد كبير من الناس . أما اذا كنت قاتلا غيبيا ، لالتقى القبض عليك ، وأوقفت عند حدك ، ولسوء الحظ فإن القتلة انما يزدادون ذكاء فوق ذكاء .

وات :

هل يمكننا أن نرجع قليلا الى نوع آخر من السلطة ،
وليكن السلطة الاقتصادية ، هل تعتقد أن ماركس أكد أكثر مما
ينبغي على أهمية السلطة الاقتصادية ؟

رسل :

ماركس في المقام الأول ، ركز تركيزا بالغاً على السلطة
الاقتصادية ، في مقابل أشكال أخرى من السلطة ، ثم هو في
المقام الثاني انخدع بالحالة التي كان عليها العمل في إنجلترا
في الأربعينات من القرن التاسع عشر ، حتى لقد ظن أن ملكية
وسائل الانتاج وليست الادارة التنفيذية هي التي تعطى السلطة،
وكلا هذين التفسيرين هما اللذان قاداه الى وصف ذلك الدواء
الناجع الكفيل بشفاء كافة الأدوية التي يعاني منها العالم .

وات :

وأيّن تضع السلطة الاقتصادية في مكانها من مراتب
الأهمية ؟

رسل :

أوه ، ان السلطة الاقتصادية لها أهميتها الكبرى في
الواقع ، ولكنها مجرد شكل من أشكال السلطة ، فأنا لا أستطيع

الزعم بأنها أكثر أهمية من السلطة العسكرية ، ولا أكثر أهمية من سلطة الدعاية ، والآآن لنضرب مثلا على ذلك ، لعلك تذكر الملكة بوأديسيا وكيف تمردت على الرومان ، وكان سبب تمردها أن سنيكا أقرضها مبلغا كبيرا من المال ، مع نسبة عالية جدا من الفوائد ، ولكنها لم تستطع أن تحصل على هذا المال ، وما كان ذلك إلا لأن سنيكا في ذلك الحين ، كان يتمتع بسلطة اقتصادية ، ولكن بوأديسيا بعد أن قد قهرت تماما من الجيش الروماني ، كان سنيكا نفسه قد لقي حتفه على يد الامبراطور ، ولم يكن ذلك بفعل السلطة الاقتصادية ، وإنما كان بفعل السلطة العسكرية .

وات :

هل تعتقد أن السلطة الاقتصادية تحتاج الى كبح ؟

رسل :

نعم ، بل أعتقد أن كل نوع من أنواع السلطة في حاجة الى ما يكبح جماحه ، ذلك لأن السلطة التي في مقدورها اجاعة عدة بلاد او أقاليم ، سلطه غير مرغوب فيها ، ولا هي محببة الى النفس . وفي اعتقادي أن السلطة الاقتصادية التي تتمتع بها بلاد بعينها في الشرق الأوسط ، والتي في مقدورها أن تضخ

الزيت أو لا تضخه حسبما يترأى لها ، لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون سلطة من النوع المستحب أو المرغوب فيه .

وات :

والسلطة الدعائية ، ما مدى أهميتها ؟

رسل :

أوه ، السلطة الدعائية لها أهميتها البالغة ، وإن أهميتها
أقوى تزايد مستمر ، وعندما يقول الناس ، إن دماء الشهداء هي
بذور الكنيسة ، فإن هذا القول يعنى أن دماء الشهداء تنطوى
على قدر ضخم من السلطة الدعائية . وعندما يقول الناس إن
الحق لا بد وأن يظهر ، إنما يقصدون بقولهم أن الرأى الذى
يبدى الآن ، سوف ينتشر فى المستقبل . وعلى ذلك فالدعاية لها
أهميتها القصوى بكل وسيلة من الوسائل ، ولاشك أن الديانة
المسيحية لم تستقر تماما لا بفضل السلطة الاقتصادية ولا بفضل
السلطة العسكرية .

وات :

وهل تعتقد أن السلطة الدعائية سيئة على الدوام ؟

رسـل :

أوه ، كلا بالتأكيد ، أوه ، لا ، انها انما تكون سيئة حين تخلط الأفكار الجيدة بالأفكار الرديئة ، ولكنى لا أعتقد على الاطلاق انها سيئة على الدوام ، واذا تراءى لك أن تقول ذلك ، كان معنى قولك أن كل أنواع التعليم سيئة ، لأن كافة أنواع التعليم ، تنطوى على نوع من الدعاية .

وات :

هل تعتقد أن قوة السلطة الدعائية تحتاج الى ما يكبح جماحها ؟

وهل أصبح الناس تحت وطأة وسائل الدعاية والاعلام ، غير قادرين على أن يفكروا لأنفسهم بشكل واضح ؟

رسـل :

أوه ، لاشك أن الدعاية غدت في حاجة الى ما يكبح جماحها ، وفي اعتقادي أن الآراء المتداولة عن الفكر الروسى ، يفوق معدلها عما تحتله من مكانة في الدول الغربية ، من حيث بعدها البعيد عن الحقيقة ، وهذا راجع الى مدى تأثير الدعاية على التعليم ، على نحو ما نجده في الدول الشيوعية . أما في الدول غير الشيوعية فالرقابة لاتزال أقل بكثير ، وأن كان لاتزال

بها قدر كبير من الرقابة ، القصد منه لا أن يفكر الناس لانفسهم
تفكيراً سليماً ، ولكن أن يفكروا فيما تفكر لهم فيه الحكومة .

وات :

وماذا عن الغرب ؟ هل تحتاج السلطة الدعائية الى كثير من
كبح الجماح في الغرب ؟

وسل :

انها بالتأكيد تحتاج الى هذا الكبح ، ليس الى هذه الدرجة ،
ولكنها تحتاج الى قدر من كبح الجماح ، ذلك لأنك ستجد فيما
يعطى من تعليم في المدارس والجامعات ، ألا أثر لحرية الرأى أو
للتنافس الحر بين مختلف أنواع الآراء ، وانما آراء بعينها هي
التي تحظى بالعناية والاتشار على حساب آراء أخرى .

وات :

والآن ، ما مدى أهمية مشكلة استخدام السلطة بوجهيها
النافع والضار في حياة الانسان ؟

وسل :

في اعتقادي أنها مشكلة لها أهميتها القصوى ، والواقع أنني
أرى في هذه المشكلة الفارق الرئيسى بين حكومة جيدة وحكومة

رديئة ، ففى الحكومة الجيدة ، تستخدم السلطة فى حدود ، وعلى مستوى المراجعات والتوازنات ، أما فى الحكومة الرديئة، فالسلطة انما تستخدم بلا قيد ولا شرط . وفى اعتقادى أنها مسألة بالغة الأهمية ،

وات :

هل تعتقد ، ودعنا نتكلم بصراحة ، أن النظم الديمقراطية فى الغرب ، تحرص على نوع من التوازن المنطقى الدقيق ، بين حاجة الحكومة الى اتخاذ اجراء بطريقة قاطعة وحازمة ، وبين حاجتها الى اقناع الناس بأن هذا الاجراء الذى اتخذته انما يتوافق مع ما يتطلبونه ؟

رسل :

حسن ، دعنى أؤكد لك أننا أفضل بكثير من الحكومات الديكتاتورية ، أفضل بكثير جدا ، وسبب ذلك أننا لدينا ضوابط معينة على السلطة ، وان كنت أعتقد أننا ينبغى أن نحظى بمزيد من الرقابة المباشرة ، عمما نحظى به الآن عن طريق الانتخابات العامة . ففى عالمنا الحديث ، حيث تكامل الأشياء بعضها مع البعض الآخر ، بطريقة بالغة التعقيد ، ينبغى فى اعتقادى ، أن يكون لدينا المزيد مما تتمتع به فى مجالس الشعب أو مجالس العموم .

وات :

ألا تعتقد أن مجالس الشعب أصبحت طرائق غير ملائمة
لتحقيق ذلك ؟

رسل :

أوه ، لقد أصبحت بطيئة وغير ملائمة ، ولكنى أعتقد أنها
أفضل من أى نظام ، تستطيع فيه الحكومة ، وفي أى لحظة ، أن
تفرق البلاد في كارثة تامة أو شاملة دونما استشارة من أى
انسان .

المحاورة السادسة

ماهى السعادة؟

ودرو وات :

أنت تبدو يا لورد رسل كما لو كنت انسانا سعيدا للغاية ،
هل أنت كذلك حقا ؟

لورد رسل :

لا ، لست كذلك على الاطلاق ، لقد مررت بفترات ذقت
فيها طعم السعادة ، ومررت بفترات أخرى لم أذق فيها للسعادة
طعما ، وربما كان من حسن حظى ، أن فترات السعادة تبدو لى
أكثر طولاً ، كلما تقدم بى العمر •

وات :

ماذا كانت أتعس فترات حياتك ؟

رسل :

حسن ، لقد كنت تعيسا للغاية في فترة مراهقتي ، وفي اعتقادي أن هذا هو شأن أكثر المراهقين ، لم يكن لدى أصدقاء ، بل لم يكن لدى من أستطيع أن أتحدث معه . كنت أفكر مليا في الانتحار طوال الوقت ، وكنت أكبح جماح نفسي بصعوبة حتى لا أقدم على هذا الفعل . وهو التفكير الذي لم يكن سليما على الإطلاق ، أوه ، لقد خيل لي تماما أنني لم أكن سعيدا أبدا ، ولكنه كان مجرد تخيل ، كما اكتشفت ذلك في أثناء حلمي ، لقد حلمت بأنني في غاية المرض ، وبأنني أعاني آلام الاحتضار ، وتصادف أن كان يقف الي جوارى البروفسور جويت . مترجم أفلاطون ، وأحد المثقفين ممن كان صديقا لأسرتي ، وكان صوت البروفسور جويت قصيرا وحادا كالصرير ، فقلت له بصوت ملتهع وأنا في أضغاث أحلامى : « لا بأس ، هناك على أية حال نوع من الراحة ، وعمما قريب سأرتاح من كل هذا العناء » . فما كان منه الا أن قال لي : « هل تقصد بذلك الحياة ؟ » فاجبت قائلا ! « نعم ، ما أقصده هو الحياة » فرد على الفور « عندما تكبر في السن ، لن تتفوه بمثل هذا الكلام الفارغ » . فافقت من حلمي ، ولم أعهد ترديد مثل هذا الهراء !

وات :

ولكن ، طالما أنك شعرت بالسعادة ، هل جاءك هذا الشعور
بناء على ترتيب ، أم كان يمحض المصادفة ؟

رسل :

حسن لم يتناوبني هذا الشعور بناء على ترتيب ، الا فيما
يتعلق بعملى ، أما بقية حياتى ، فقد كانت متروكة للظروف
والمصادفات . ولكن الذى لاشك فيه ، أنه فيما يتعلق بعملى
الذى كنت أنجزه كما ينبغى ، كانت سعادتى وليدة ترتيب واع .

وات :

هل تعتقد أن ترك السعادة للظروف والمصادفات ، هو
الشيء السليم ؟

رسل :

أوه ، أعتقد أن المسألة تتوقف على الحظ بدرجة كبيرة ،
وكذلك على الأسلوب الذى يسير به عملك ، لقد مررت بفترة
اضطراب ذقت فيها مرارة التماسه . وكان ذلك فى فترة لاحقة على
فترة المراهقة التى حدثتك عنها ، عندما استفرقتنى تماما احدى
المشكلات التى كان لزاما على أن أجد لها حلا قبل أن أمضى فى

عملي ، ولقد ظلت أصارع هذه المشكلة طوال عامين ، دون أن
أحرز في حلها أى تقدم ، وكان ذلك مصدرا من مصادر تعاستى
الشديدة •

وات :

ما هى فى رأيك مقومات الشعور بالسعادة ؟

رسل :

حسن ، مقومات السعادة فى رأى ، يمكن ارجاعها الى
أربعة مقومات هامة ، ربما كان أولها جميعا الصحة ، يليها بعد
ذلك أن يكون الانسان فى مأمن من العوز ، ثالثها العلاقات
الشخصية السعيدة ، أما رابع هذه المقومات فهو العمل الناجح •

وات :

لا بأس ، ولكن ما الذى يمكن أن يقال عن الصحة ؟ ولماذا
تولى الصحة كل هذه الأهمية ؟

رسل :

واضح ، أنه اذا أصيب الانسان ببعض أنواع المرض ، يكون
من الصعوبة بمكان أن يشعر بالسعادة ، فبعض أنواع المرض ،

تؤثر في العقل ، وتسبب للانسان شعورا بالتعاسة ، وبعض انواع المرض ، يستطيع الانسان ان يتحملها ، اما بعضها الاخر ، فيصعب تحمله على الاطلاق •

وات :

هل تعتقد أن الصحة تجعل الانسان سعيدا ، أم أن السعادة هي التي تجعله صحيحا ؟

رسل :

حسن ، في اعتقادي أن الصحة أساسا هي التي تجعل الانسان يشعر بالسعادة ، والعكس صحيح الى حد ما ، فالانسان السعيد يكون أقل تعرضا للمرض من الانسان غير السعيد •

وات :

عندما يكون يومك سعيدا ، هل يكون ذلك في صباح اليوم الذي نمت فيه جيدا ، أكثر من صباح اليوم الذي لم تنم فيه نوما جيدا ؟

رسل :

أوه ، بالطبع •

وات :

هل لنا الآن أن نتكلم عن المقوم الثاني من مقومات السعادة ، وهو الدخل المادى ؟ ما مدى أهمية هذا الجانب ؟

رسل :

حسن ، فهذا يتوقف على المستوى المعيشى الذى اعتاد عليه الانسان ، فاذا اعتاد الانسان أن يعيش على الكفاف ، لم يكن فى حاجة الى دخل مادى كبير ، أما اذا اعتاد الانسان أن يعيش حياة الرخاء ، فانه يشعر بالتعاسة ما لم يكن دخله المادى كبيرا جدا ، وعلى ذلك ، فالمسألة فى اعتقادى تتوقف على ما اعتاد عليه الانسان .

وات :

ألا يمكن أن يدفعنا ذلك دفعا ، الى نوع من السعى الحثيث وراء المال ؟

رسل :

أوه ، ببساطة شديدة ، وهذا ما يحدث فى أغلب الأحوال ، فكثيرا ما نجد أن أكثر الناس ثراء ، هم من ينتابهم الفزع من أن يموتوا فى بيوت فقيرة ، وهو ما يحدث فى الأغلب .

وات :

ولكن المال الوفير لا يؤدى بالضرورة الى السعادة .

رسل :

أوه ، لا ، لا بالطبع ، فالمال في اعتقادي يشكل الحد الأدنى من الاحتياج ، ولا ينبغي على الانسان أن يفكر كثيرا في المال ، والا أصيب بالاضطراب .

وات :

لقد وضعت العلاقات الشخصية في المرتبة الثالثة من القائمة، هل كنت تقصد بذلك أنها الثالثة في ترتيب الأولوية ؟

رسل :

أوه ، لا لا ، لأنني على قدر تجربتي ، أستطيع أن أقول أنها المطلب الأول . أو بالأحرى ، هي المقوم الأول من مقومات السعادة بعد متوم الصحة .

وات :

هل تشرح لنا قليلا ، ما الذي تقصده بذلك ؟

رسل :

تقصد العلاقات الشخصية ؟

وات :

نعم .

رسل :

أوه ، لا بأس ، كنت أظن أن ما أقصده بالعلاقات الشخصية واضحا كل الوضوح ، فأنا أقصد بالعلاقات الشخصية الصداقة ، وأقصد بها الحب ، وأقصد بها علاقات الانسان بأولاده ، فهذه كلها أنواع من العلاقات الشخصية الحميمة ، فان لم يكن الانسان سعيدا في مثل هذه العلاقات ، تصبح حياته بالغة الصعوبة .

وات :

والآن ، العمل ، في أى مستوى من المستويات تضعه ، أعنى أهمية العمل الناجح ؟

رسل :

في مستوى عال بالتأكيد ، بالنسبة لكل من هم على جانب من الحيوية والنشاط ، فالبعض أكثر كسلا وخمولاً ، ولا يعملون على العمل كثيرا ، أما من هم بكامل طاقتهم الحيوية ، فلا بد لهم من متنفس لتفريغ هذه الطاقة ، والعمل هو المتنفس الطبيعي ، وبالطبع لا يمكن للعمل أن يضىء عليك السعادة ، ما لم يكن عملا ناجحا . فإذا كان كذلك ، فلا شك أنه ثقيل بأن يملأ عليك يومك وأن يضيف اليه السعادة .

وات :

وهل يهم في ذلك نوع العمل ؟

رسـل :

لا ، لا أعتقد أن نوع العمل له أهمية في ذلك ، فيما عدا الأعمال غير المستقرة أو المحفوفة بالمخاطر • أقصد لو أنني كنت مثلا عضوا في مكتب سياسي ، فلا بد وأن يكون عملي مقلقا بعض الشيء ، ولكن ••

وات :

ربما أمد بعض الناس ممن يحبون هذا النوع من العمل •
ببعض الحوافز •

رسـل :

بالطبع ، لو أنك أحببت هذا النوع من العمل ، فالأمر بالنسبة لك يكون على ما يرام •

وات :

ولكن ارتفاع مستوى العمل او قلة مستواه ، هل يهم في ذلك ؟

رسـل :

لا ، بالطبع ، فهذا يتوقف على طبيعة الانسان ، فبعض الناس لا يشعرون بالسعادة ما لم يرتبطوا بانجازات ضخمة ، والبعض الآخر ، يمكنه أن يكتفى بالقليل من الانجازات حتى يشعر بالسعادة الكاملة ، انها مسألة طبع ومزاج ، على أن يكون عمل الانسان على قدر ما تسمح به طاقته ، لأن ذلك يساعده على أن ينجز أعمالا ناجحة .

وات :

ما تقوله يبدو كما لو كان يغبط الكسول على حظه من الكسل ، اذ ينبغي أن يكون راضيا بما قدر له من قدر ضئيل في العمل .

رسـل :

نعم ، ولكن ينبغي أن يكون سعيدا كل السعادة ، فهذا على الأقل ما أفدته من تجربتي في الحياة ، فالسعادة الناتجة عن انجاز عمل نجح نجاحا حقيقيا ، نتيجة للجهد الشاق ، انما هي أكبر بكثير ، ولا أظن أن الشخص الكول قد ذاق طعما لمثل هذه السعادة .

وات :

ماذا يكون تصرفك ، لو قيل لك أنه يمكن أن يتحقق لك قدر أكبر من السرور ، لو أنك كنت أقل قدرا من الذكاء ؟

رسل :

أوه ! لم أكن أقبل بذلك أبدا ، بل كنت في الواقع أفضل قليلا من السرور ، في مقابل المزيد من الذكاء ، لا .. لا .. فأنا أحب الذكاء ..

وات :

هل تعتقد أن الفلسفة تضيء السعادة على الانسان ؟

رسل :

نعم ، انها تضيء عليه السعادة ، لو كان من المهتمين بالفلسفة ، ولو كان ناجحا فيها ، وليس العكس ، أعنى لو كان متطفلا عليها ، أعنى لو كان بالنسبة لها مجرد عابر سبيل . فأى عمل يجيده الانسان ، كقيل بأن يضيء عليه الشعور بالسعادة .

وات :

ما هي العوامل التي تحول دون تحقيق السعادة ؟

رسل :

نعم ، هناك عدد كبير من هذه العوامل ، بالإضافة الى تقيض الأشياء التي تحدثنا فيها ، فمن الأشياء التي تحول دون تحقيق السعادة ، القلق ، وهو عامل من العوامل التي لها علاقتها بحياتي ، فكلما تقدمت بي العمر ، شعرت بمزيد من السعادة ، فأنا لم أصادف كثيرا من القلق ، ومع ذلك عرفت كيف أتعامل معه بطريقة لا تخلو من الفائدة ، وذلك لأنني كنت أفكر فيه على النحو التالي : « والآن ، ما هو أسوأ الأشياء التي يمكن أن تقع لي ؟ » .. ثم أعاود التفكير ، « لا بأس ، انه في النهاية لن يكون بالغ السوء على امتداد مائة عام منذ الآن ، ومن الجائز ألا تكون له أهمية تذكر » .. والواقع أنك لو تركت تفكرك على هذا النحو ، لن تعاني من القلق كثيرا ، فالقلق انما ينجم عن عدم مواجهة الاحتمالات غير السارة .

وات :

هل تفدر على قهر القلق عن طريق الارادة ؟

رسل :

نيس تماما ، ليس كلية ، ولكن ذلك ممكن الى درجة

أكيرة .

وات :

وأين تضع الحسد؟

رسل :

أوه ، الحسد ، نعم ، ياله من مصدر مزعج من مصادر التعاسة ، لعدد كبير من الناس ، وأنا هنا أتذكر الرسام هايدون الذى لم يكن رساما ممتازا ، ولكنه كان يتمنى أن يكون كذلك ، لقد دون يومياته ، وفى إحدى هذه اليوميات سجل قوله :
« لقد قضيت صباحا بائسا ، أقارن فيه نفسى برافائيل » ..

وات :

هل لك أن تعطينا مزيدا من الشرح لهذا الكلام عن الحسد؟

رسل :

الحسد معناه أن عددا كبيرا من الناس ، لديهم ما يكفهم لكى يصيروا سعداء . ولكنهم يقلقون أنفسهم لأن اناسا آخرين فيما يبدو ، لديهم ما هو أكثر ، فهم يظنون حسدا ان بعض الناس لديهم سيارة أفضل ، أو حديقة أجمل ، أو أن عملهم يمضى على ما يرام ، وهكذا .. وهكذا الى آخر هذه الأشياء ، فبدلا من أن يستمتعوا بما لديهم مما يمكن الاستمتاع به ، يبددون

هذه المتعة ، بالتفكير فيما قد يكون لدى غيرهم على نحو أوفر ،
وهو مالا ينبغي أن يحدث .

وات :

ولكن ، ألا يمكن للحسد أن يكون شيئا نافعا . بمعنى أن
أحدا من الناس اذا شعر بالحسد تجاه العمل الذي يقوم به
شخص آخر ، ظنا منه أن عمل غيره أفضل من عمله ، ألا يكون
هذا حافزا له على تجويد عمله ؟

رسل :

نعم ، يمكن أن يحدث هذا ، ولكنه في ذات الوقت قد
يكون حافزا لاساءة العمل ، وفوق هذا كله فهو يشكل محاولة
للتدخل في عمل الغير . فثمة طريقتان للتفوق على الآخرين ، أولاهما
أن يتفوق الانسان على نفسه ، والآخر أن يضع الغير وراء
ظهره .

وات :

والمثلل .. ما هو في اعتقادك مدى أهمية المثلل ؟

رسل :

في اعتقادي أن المثلل مسألة على جانب كبير من الأهمية ،
وانه تدللت بالفعل . أن المثلل مسألة عزيزية في الانسان ، ذلك

لأنهم من خلال مراقبتي للقردة في حديقة الحيوان ، بدت لي كما لو كانت تشعر بالملل ، وان كنت لا أظن أن الحيوانات الأخرى تعاني مثل هذا الشعور ، فهو علامة من علامات ارتفاع درجة الذكاء . ولكنني أعتقد أن الممل ظاهرة لها أهميتها الكبرى ، وتستطيع أن تلاحظ ذلك في سلوك الهمج ، فعندما يتصلون لأول مرة بغيرهم من المتحضرين ، تراهم يفكرون فورا في الخمر ، انهم يحتاجون إليها ، بأكثر من حاجتهم الى التوراة أو الانجيل ، أو حتى حبات الخرز الزرقاء ، التي تدرأ العين ، وما حاجتهم الى الخمر ، الا لأنها سرعان ما تزيل عنهم الملل .

وات :

ولكن ، كيف يستطيع الانسان أن يفهم الملل ، وبخاصة القتيات ممن حصلن قدرا طيبا من التعليم ؟ انهن يتزوجن ، ولا يجدن بعد ذلك ما يفعلن ، سوى مراعاة شئون البيت .

رسل :

أجل ، وياله من نظام اجتماعي سيء ، وفي اعتقادي أنك لستطيع أن تغيره دائما بفعل فردى ، ولكن المثال الذي ضربته الآن ، على جانب كبير من الاهمية ، انه يدل على أننا لم نتوصل بعد الى نظام اجتماعي أفضل ، لأن كل انسان ينبغي عليه أن يختبر مهاراته ، سواء أكان ذكرا أم أنثى ، والمرأة الحديثة التي

بلغت درجة عالية من التعليم ، لا تكاد تقدر علي عمل شيء ، بعد
أن تتزوج ، وهذا اثر من آثار النظام الاجتماعي .

وات :

الوأي مدى يستطيع الانسان أن يكون سعيدا ، اذا أدرك
دوازمه الخاصة علي انجاز الأعمال ، حتى يستطيع بذلك أن
يتحاشى خداع الذات ؟

رسـل :

أود ، في اعتقادي أن ذلك يساعده الي حد كبير ، فكل
انسان يحصل في داخله قدرا من الكراهية لأحد الأشخاص أو
لمجموعة من الأشخاص ، علي اعتبار أن هذا الشخص أو هذه
المجموعة لا تتصرف وفقا للمثل الأعلى ، وعلى الرغم من أن هذا
الشعور بالكراهية ، قد يكون نتيجة التأثير بانطباع ما ، الا أن
الواقع قد يخيب هذا الانطباع ، علي أن الانسان اذا استطاع
أن يتحاشى خداع الذات ، فلا شك أنه سيكون سعيدا .

وات :

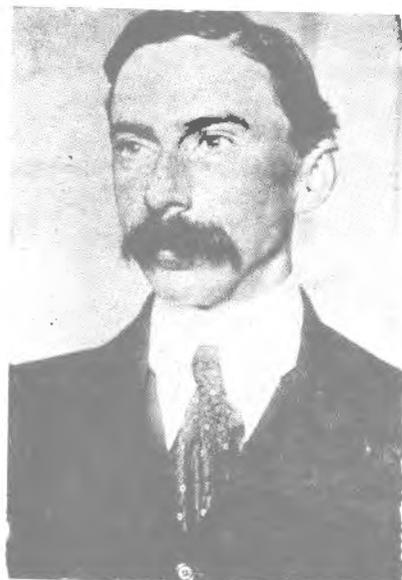
وهل تعتقد أن عددا كبيرا من الناس ، انما يكتونون تمساء
نتيجة لخداع الذات ؟



رسل وزوجت ايس في عام ١٨٩٤



پرترا ندرسل ٹی صباہ



برتاندريسل في رجولته



ايس ٠٠ الزوجة الأولى



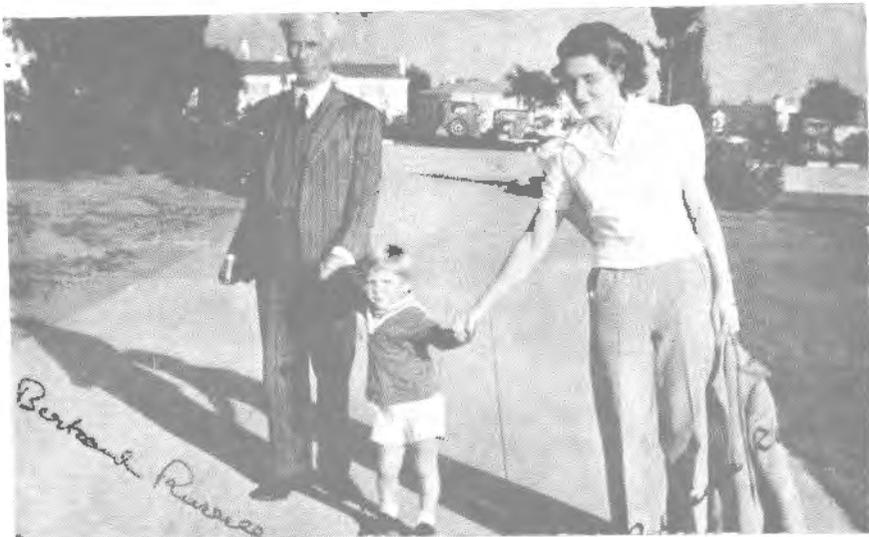
رسل امام زوجته اليس في بيته بلندن



پوتراوند دسل فی جامعہ کیمبرج



برتراند رسل فی
انسا معاہدہ عام ۱۹۱۸



رسل مع زوجته الثانية
اتريشيا وابنهما كونراد في
لوس أنجيلوس عام ١٩٤٠



دسل و زوجته الثانية باتريشيا وابنهما كورنراد



برتراند رسل يحتج على الحرب العالمية الأولى

دسل یداعیا ابنه کونراد و معه زوجنه باتریشیا فی عام ۱۹۴۰





برتراند رسل فی جارسنچتون عام ۱۹۱۶



برتواند رسل في
جامعة هارفارد عام ١٩٤٠



برتراند رسل يقود مظاهراته السلمية ضد الأسلحة النووية



برتراند رسل في مجلس العموم البريطاني
بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده التسعين عام ١٩٦٢

رسـل :

أوه ، نعم ، أعتقد أن ذلك يحدث لعدد كبير من الناس .

وات :

هل تعتقد أن الانسان في امكانه أن يكون سعيدا في ظروف محنة ، كأن تكون السجن مثلا ؟ لقد مررت أنت نفسك بهذه التجربة .

رسـل :

أوه ، بالطبع . لقد قضيت وقتا طويلا في الحبس ، غير أنني كنت في القسم الأول حيث لم تصادفني المشاق العادية التي تواجه حياة السجن ، لم تصادفني على الاطلاق . ولكن ، من الطبيعي أن تكون حياة السجن شديدة الصعوبة بالنسبة لانسان اعتاد على ممارسة العمل الذهني ، ولكنها أيسر بكثير بالنسبة لمن اعتاد على ممارسة العمل اليدوي ، لأن الانسان لا يستطيع أن يحرم طويلا من ممارسة حياته العقلية .

وات :

هل تعتقد أنه أيسر للانسان أن يشعر بالسعادة حتى داخل السجن ، لو كان ذلك في اعتقاده من أجل قضية عادلة ، مما لو دخل السجن لأنه يستحقه فعلا ؟

رسل :

أوه . بالتأكيد ، لو أنهم حكموا على بنفس العقوبة ، لأنتى
سرت بعض الملائق ، لكنت شعرت شعورا كاملا بالنعاسة ،
نعم . . نعم . . كان يتابنى ما استحقه من شعور بالخزى
والعار . ولكنى لما كنت قد دخلت السجن ، لسبب آخر ، فام
أشعر بهذا الشعور على الاطلاق .

وات :

لأنها ببساطة كانت مسألة مبدأ ؟

رسل :

نعم .

وات :

هل تعتقد أنه دما يساعد الناس على الشعور بالسعادة .
أن تكون لهم فى الحياة قضية يعيشون بها ولها ؟

رسل :

نعم ، على شريطه ان يحققوا قدرا كبيرا او ضئيلا من
النجاح ، ففى اعتقادى انه لو وجدت مثل هذه القضية ولم يحققوا
فيها أى نجاح ، فلن يشعروا بالسعادة ، ولكنهم اذا حققوا قسطا
من النجاح ، من حين الى حين ، فان ذلك من شأنه أن يساعدهم

على بلوغ السعادة • وفي رأيي أننا ينبغي أن نتنقل من الموضوع الى موضوع آخر ، وهو موضوع له أهميته في بلوغ السعادة ، وبخاصة كلما تقدم العمر بالانسان ، فكلما كانت اهتماماتك غير شخصية ، ولها امتدادها الى ما بعد حياتك الخاصة ، كلما قل تفكيرك ، فيما اذا كانت حياتك الخاصة ستنتهي قبل أوانها بزمن طويل ، وفي اعتقادي أن هذا عامل مهم للغاية ، من العوامل التي تساعد على تحقيق السعادة لمن تقدمت بهم العمر •

وات :

وماذا تقول في الفكرة الشائعة لدى الناس ، عن ضرورة حرصهم على أن يعيشوا حياة سعيدة ، تمتد الى أطول مدى ؟

رسل :

أوه ، بالنسبة لكيف يعيش الانسان أطول مدى ، فهذه مسألة طبية وليست مسألة من المسائل التي ينبغي أن أعبر فيها عن رأيي ، ولقد قرأت كثيرا من المصنفات الطبية التي تدافع عن هذه الوجة من وجهات النظر ، لقد قالوا لي ، لو أنني تناولت عقاقيرهم الطبية لعاد شعر رأسي أسود كما كان ، ولست متأكدا من ضرورة أن أرحب بذلك ، لأنني أجد أنه كلما زاد شعر رأسي بياضا ، كلما كان الناس أكثر استعدادا لتصديق ما أقول •

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

12/10/20

المحاورة السابعة

القومية

ودرو وات :

هل تعتقد بالورد رسل أن القومية شيء نافع أم هي شيء ضار ؟

لورد رسل :

ينبغي علينا أن نميز أولاً بين الأوجه الثقافية والأوجه السياسية لموضوع القومية ، فمن وجهة النظر الثقافية ، نجد أنه من الأشياء المؤسفة جداً في العالم الحديث ، تماثله بصورة غير عادية ، فلو أنك نزلت بفندق سياحي من فنادق الدرجة الأولى ، لن تعرف فيه على أي ملمح من الملامح التي تدلك على انتمائه لأي

قارة من القارات ، أو لأي جزء من أجزاء العالم ، فكل هذه الفنادق متشابهة بعضها مع البعض الآخر ، في جميع أرجاء العالم ، مما يضى عليك شعورا بالملاة والضيق ، ويحيل رحلتك الثرية الى عمل شاق لا يستحق العناء ، وذلك على العكس تماما مما لو قمت برحلة متواضعة ، لا شىء فيها من مظاهر الترف او اشراء ، هنا تستطيع أن تتعرف على البلاد الأجنبية ، وفي هذه الحالة فقط يكون لدينا الكثير ما يمكن أن يقال حول موضوع القومية ، حول أوجه التميز والاختلاف سواء في الأدب ، أو في الفن ، أو في اللغة ، أو في كل مظهر من مظاهر الثقافة . أما اذا عدنا ونظرنا الى موضوع القومية من وجهة النظر السياسية، فانها تصبح شرا ويلا فلست أعتقد أننا نستطيع أن نجد في مدحها شيئا واحدا .

وات :

حسن ، ولكن ، ألت تتحدث عن الغايات ، والغايات الأساسية، من اقامة نظام الدولة القومية ؟

رسل :

لا بأس ، فهذه الغايات الأساسية هي ما تسميه الدولة لنفسها بوسائل « الدفاع » ، وما تسميه كل الدول الأخرى

بأسباب « العدوان » فالظاهرة هي الظاهرة ، ولكنها تسمى بأسماء مختلفة من دلائل الجائين • والواقع أن الدولة ما هي في المقام الأول سوى هيئة تعمل على إبادة الغرب الأجنبي ، وهو ما تجعله غايتها الأساسية ، وهناك بطبيعة الحال ، غايات أخرى تعمل الدولة على تخفيفها ، منها نشر التعليم ، وهدنها حرصا بالغا في مناهجها التعليمية ، على أن تجعل النشء يتصور أن إبادة الأجانب عمل عظيم • ولكي أوضح لك ما أقصده ، خذ على سبيل المثال ، هذا المقطع الشعري من النشيد القومي ، الذي لا يؤديه النشء في الأعم الأغلب بالصورة التي كان يؤدي بها في أيام صباى ، حيث يقولون : « ادحض لهم حيلهم الماكرة ، وأجبط لهم سياستهم القاصرة ، ودعهم يتساقطون » لقد اعتدنا أن نشهد ذلك جميعا بحماس بالغ في وجه كل غريب أجنبي •

وات :

مثل نشيد « دستور » بريطانيا ! ؟

رسل :

نعم ، ومثل نشيد « بريطانيا » أيضا ، ولكن الآن بعد أن أمسكت بريطانيا عن حكم البحار ، لا نستطيع أن نهتف بنفس الحماس « دستور الولايات المتحدة •• الولايات المتحدة تحكم

البحار» لأن الوزن لا يستقيم ، ولذلك أسقطنا من حسابنا الموضوع لله .

وات :

هل هذا هو الضرر الذى تقصده ، والذى يعود علينا من الصوميه ؟

رسل :

ما أقصده بالضرر الذى يعود علينا من القومية ، هو ما تخصصه فى جانبها التعليق من غرس الفكرة القائلة بأن بلدى هى أعظم البلاد ، وأنها دائما على حق فى كل شىء ، فى حين أن البلاد الأخرى ، تماما كما يقول مستر بورسناپ فى إحدى روايات ديكنز : « لو كنت فى بلد أجنبى ، فعليك للأسف الشديد ، أن تفعل كما يفعلون » .

ولست أظن أنه من الصواب أن ننظر الى البلاد الأجنبية مثل هذه النظرة ، ويستطيع الانسان أن يصادف أمثلة غريبة من هذا القبيل ، لقد ألفت كتابا ، تكلمت فيه عن موضوع القومية هذا ، وقلت فيه : « هناك بطبيعة الحال ، أمة واحدة دون سائر الأمم . تتمتع بكل الفضائل العليا التى تتمناها لنفسها أية أمة أخرى ، هذه الأمة هى الأمة التى ينتمى إليها قارئى » . وتلقيت خطابا

من احد البولنديين ، يقول فيه : « كم أنا سعيد لانك ذكرت
الفضائل الساميه التي تتوافر في بولندا » ..

وات :

نعم ، هذا صحيح ، ولكن ما هي الاشياء الأخرى التي تنشأ
عن موضوع الفوميه ، افسد ، هل تستطيع ان تعطينا عنها مزيدا
من الامثله ؟

رسل :

نعم ، قابلت في الولايات المتحدة فتاة شابة على درجة
كبيرة من الجمال ، وكانت مولعة بركوب الدراجات ، وكانت قادمة
على دراجتها من أكوادور ، فجنحت بها الدراجة جنوحا شديدا
الى سفح التلال . وكان من الممكن بسهولة أن تلقى مصرعها ،
وكان معى صديقى جيلبرت مورى ، فسألها ، « ألم ينتابك
الخوف عندما جنحت بك الدراجة هذا الجنوح الشديد ؟ »
فما كان منها الا أن ردت عليه : « أوه ، لا ، لقد قلت في نفسى
تذكرى جيدا أنك فتاة من أكوادور ! .. »

وات :

ولكن هذا بالطبع ، يمكن أن يحدث لاي انسان ..

رسائل :

نعم ، كنت كلما رويت هذه القصة لأى انسان ، أجده ينفجر ضاحكاً ، وهذا مما يجعلنى أقول : « اثنى نو رويت القصة على انا حدثت لفتاة أخرى ، فى بلد آخر ، لما ضحك أحد على الاطلاق » ..

وات :

هذا صحيح ، ولكن ، لماذا نرغب الناس فى أن يقسموا الى دول قومية ؟

رسائل :

ان هذا بطبيعة الحال ، جانب من طبيعتنا الاتفالية ، أن يكون لدينا الاسعداد لأن نحب ونكره ، ونحن من جانبنا نميل الى ممارسة اتفالات الحب والكراهية ، فنحب مواطنينا ، ونكره الغرباء ، ونحن بالطبع لا نحب مواطنينا الا حينما نفكر فى الغرباء ، أما حينما نكف عن التفكير فى الغرباء ، فنحن لا نتوجه الى مواطنينا بكل هذا الحب .

وات :

وماذا يمكنك أن تفعل حبال ذلك ؟ انك تقول أن القومية فيها قدر ما من الصواب والمعقولة ، فكيف يمكنك أن تتأكد من أن هذا التدر لن يتجاوز حدوده ؟

رسـل :

حسن ، وفي تقديري أنك لن تستطيع ، لن تستطيع أبداً
أن تتأكد من مثل هذه الأمور ، ولكن الذى تستطيع أن تقوله ،
واندى لأبد للعالم كله من أن يقوله ، هو أنه اذا قدر للانسان
أن يبقى على قيد الحياة ، فلا بد للجوش ، والأساطيل البحرية ،
وكافة القوات الجوية ، أن تتحول من القومية لكى تصبح عالمية ،
حينئذ لن يضنيك التفكير طويلا فيما اذا كانت احدى الدول ،
ستتخذ لنفسها الاحتياطات الوقائية خوفا من أن تعلن عليها الحرب
فى يوم من الأيام •

وات :

ولكنى أقصد بكلامى شيئا آخر ، أقصد أن الانسان فى
بعض الأحيان ينتابه الشعور بأنه انما يفعل شيئا بلده ، كأن
يتسلق مثلا قمة جبل افرست ، أو كأن يتوصل الى اختراع جهاز
يغير الى ما بعد الفضاء الخارجى ، ألا تعتقد أنه فى هذه الحالة
يكون أكثر حماسة وحيوية ، مما لو كان يفعل ذلك من أجل هدف
عالمى غامض ؟

وسل :

نعم ، هذا صحيح ، صحيح أن الناس يحبون الباعث الأضيق أفق ، ولكنني اعتقد أن هناك وسائل عديدة للجيلولة دون ذلك ، خذ مثلا الحملة التمهيدية أرسلت لتسليق قمة جبل افوست ، انها لم تكن فحسب بلدا بعينه الذي أرسل هذه الحملة ، وانما كانت بالاضافة الى ذلك ، هيئة ما ، أو جماعة من الأفراد بالغى الشراء . أو شيء من هذا القبيل ، وبستطيع الانسان أن يفعل ما يفعله من أجل مجد هؤلاء ، فى الوقت الذى يكون فعله من أجل مجد بلاده .

وات :

ولكن ، لنفترض أن الأمر انطوى على نوع من أنواع التنافس ، أو على باعث من بواعث المنافسة ، هل تعتقد أن الدولة يمكن أن تكون هى الوسيلة الملائمة لذلك ؟

وسل :

نعم ، فأنا لا أهتم على الاطلاق بأنواع التنافس أو المنافسة التى تنطوى على أفعال القتل ، أما أنواع التنافس الداخلية

أو المحلية ، فأنا أوافق عليها كل الموافقة ، فلو أن إحدى المدن قامت ببناء دار فاخرة للبلدية ، وفكرت إحدى المدن الأخرى قائلة : « ينبغي أن تكون لدينا دار فاخرة للبلدية » • حسن ، فمثل هذا النوع من أنواع المناقشة هو الذي يعود بالخير ، فنحن نعرف على سبيل المثال ان مدينتي مانتسسر وليمبربول لا نحب احدهما الأخرى ، ولكن واحدة لم تفكر في أن يكون لها جيشها الخاص الذي تشن به الحرب على المدينة الأخرى •

وات :

لا بأس ، والآن كيف يمكنك أن تضع نظاما يحمي المجتمع وبخاصة في أوقات الخطر أو الأزمات أو التوترات ، اذا لم تؤمن بالشعار القائل : « بلادي ، خطأ كفت أم صواب ! »

رسل :

حسن ، لو أننا تحدثنا الآن عما ينبغي أن يكون في مثل هذه الحالات ، لرددت رأيي الذي سبق أن أعلنته من قبل ، وهو أن تكون هناك قوة مسلحة واحدة ، وأن تكون هذه القوة عالمية وليست محلية ، وفي هذه الحالة ، فان مثل هذه الحالات الخطرة التي تحدثت عنها ، لن تنشأ على الاطلاق ، لأنها لن تجد أمامها الفرصة المواتية من ناحية العدوان الداخلي ، وبالتالي لن يحتاج هذا العدوان لأي نوع من أنواع الدفاع المحلي •

وات :

ولكن العدوان قد ينشب فوراً وفي الحال ؟

رسل :

نعم ، العدوان قد ينشب فوراً وفي الحال ، وهذا ما نلاحظه
علينا أن نضع في أدمغة الناس أنهم في الوقت الذي يشعرون
فيه بمواجهتهم في مقاومة العدوان ، لا ينبغي أن يكون لديهم أي
شعور بحقهم في شن العدوان ، لأنه إذا لم يشارك أحد في شن
العدوان ، فلن تكون هناك أية فرصة أو أي داع لمقاومة
العدوان .. وان كنت أعتقد أن مقاومة العدوان هو الشيء الذي
من واجبتنا جميعاً أن نشارك فيه .

وات :

لنأخذ الشرق الأوسط على سبيل المثال ، فمنذ نهاية الحرب
العالمية الأخيرة ، والقومية العربية ترفع مجموعة من الشعارات
الجديدة ، فضلاً عما أعطتهم من ثقة في النفس ، وشعور بإمكان
ازدياد حجم العرب ، مما يجعلنا نعاود السؤال عما إذا كانت
القومية في مثل هذه الحالة ضارة أم نافعة ؟

رسل :

الواقع أن الإجابة تصبح من الصعوبة بمكان في مثل هذه
الحالة ، وفي اعتقادي أنه إذا كان من شأن هذه القومية أن توقظ

الشعور باحترام الذات لدى العرب ، وتجعلهم يشعرون بالقدرة على تحقيق انجازات كبيرة ، فالقومية في كل هذه الحالات تكون معيدة وناجعة ، ولكنها اذا انطوت على الحقائق الالدى بالشعوب الأخرى غير العربية ، فلا تسكن النظر إليها نفس النظره

وات :

مالا أستطيع أن أفهمه ، هو كيف يستطيع الانسان أن يضع حدودا لشعوره القومى ، بحيث يتمكن من ايقاظ هذا الشعور في نفسه عندما يدعو الأمر الى ذلك ، وبحيث يتمكن في ذات الوقت من ألا يتجاوز هذه الحدود ، في ظروف أخرى ؟

رسل :

ببساطة، عن طريق توحيد الحكومات، خذ مثلا حالة كل من انجلترا واسكتلندا ، لقد دخلت كل منهما في حرب مع الأخرى ، واستمرت هذه الحرب عدة قرون ، عدة قرون والحرب دائرة بين الاثنتين ، حتى غدا من المألوف عالميا أن يكره الشعب الواقع على حدود احدى البلديتين ، الشعب الواقع على حدود البلاد الأخرى ، ومن خلال حادثة بسيطة وقعت للسلاطة الحاكمة في البلديتين ، توحدت الحكومتان ، وزانت اسباب الكراهية •

وات :

تقصد بهذه الحادثة ، أنه قد أصبح للبلدين ملكا واحدا ؟

رسل :

نعم ..

وات :

ولو على سبيل الخطأ ؟

رسل :

نعم ..

وات :

الى أى مدى ترى أن التعصب العنصرى له علاقته بموضوع
القومية ؟

رسل :

حسن ، فهذا أمر وارد بطبيعة الحال ، أقصد أنه وارد في
حالة ما اذا كان هناك تمييز عنصرى بين أمتين متجاورتين ، هنا
يتدخل التعصب العنصرى ويزيد من حدة الشعور بالقومية لدى

كل منهما ، ولو أن التعصب العنصرى ليس نفس الشيء ، أعنى
أنه ليس بعينه القومية ، ولكن ما أيسر أن يكون حليفا لها .

وات :

وهل تقول أن التعصب العنصرى قد تزايد تزايدا كبيرا على
امداد الخمسين سنة الماضية ؟

رسل :

نعم ، أظن هذا ، وإن كنت لست واثقا منه كل الثقة . . .
فأنا . . . أنا لا أعرف . . . واليك على سبيل المثال رديارد كبلنج ،
الذى بذل مجهودا كبيرا فى الدعوة الى الاستعمار البريطانى ،
فظالما تكلم عن « السلالات الأدنى التى لا قبل لها بالقانون » ،
وطالما كرس كتاباته كلها حول موضوع بالذات ، هو أن كل من لم
يكن أبيض ، أو بالأحرى كل من لم يكن بريطانيا ، فهو فى مرتبة
أدنى بشكل أو بآخر . وعلى ذلك فلست أظن أن مثل هذا
الكلام مما يمكن قبوله فى وقتنا الحديث .

وات :

نحن نعلم جميعا مدى المعاناة التى تعانيها كل من أمريكا
وأوروبا من جراء التعصب العنصرى ، هل تعتقد أن آسيا وأفريقيا

تعايان من نفس الموضوع ، موضوع التعصب العنصرى ، ولكن
بدرجة أقل ؟

وسل :

ليس بدرجة أقل ، وربما كانوا فى الواقع يعانونه بدرجة
أكبر فى الوقت الحاضر ، نظرا لحدائة الموضوع بالنسبة لكل من
الأفريقيين والاسيويين ، وفى اعتقادى ان كلا من القومية
الأفريقية والقومية الآسيوية قد أصبحت فى الوقت الراهن أكثر
ضراوة ، من تلك التى نشأت بين الأوربيين ، لأنهم لا يزالون
حديثى عهد بها ، وهذا فى نظرى هو الخطر . . كل الخطر .
فالقومية كما قلت ، اذا نظرنا اليها بصرف النظر عن التوتر القائم
بين الشرق والغرب ، وعن خطر الحرب المحتملة بين كل منهما ،
هى بعينها الخطر الأكبر الذى يواجهه الانسان فى عصرنا الحاضر .

وات :

ألا ترى ان بعض الشعوب تعتقد انه اذا ما عوملت بعض
الدول معاملة سيئة ، فانها تكون مستولة عنها باعتبارها أكثر
امتيازاً ونميراً ؟ حتى ولو ناد شعورها بهذا التميز والامتياز
أكبر بكثير من حجمها الحقيقى ؟

رسل :

أوه . هذا صحيح بالتأكيد ، وهو نمط ثابت من الأنماط التي تحتذيها الدول ، عندما تقع دولة أو طبقة أو أيما شيء آخر تحت طائلة قمع غير مشروع ، فإن الشعوب ذات الشعور الانساني النبيل ، تفكر على الفور في ضرورة ممارستها لفضيلتها الكاملة في الوفوف ابي جوار هؤلاء المظلومين ، حتى يعيدوا الى نفوسهم البهجة والسرور . وحتى يحصلوا على حريتهم في نهاية الأمر ، وما أن يحصلوا على هذه الحرية حتى يبدءوا في تكريس انفسهم بكل طاقتهم ويقدر ما تسمح لهم به قدراتهم ، لممارسة كل الرذائل التي كانت ترتكب في حقهم من قبل .

وات :

أليس هذا نمط محتوم تعذر اجتنابه ؟

رسل :

لا .. لا .. ليس نمطا محتوما ، ولا يقع باستمرار ، وأعتقد .. أننا نستطيع أن نأخذ الهند كمثال يدل على عدم وقوع هذا النمط باستمرار . فالهند بعد أن حصلت على حريتها واستقلالها ، عاشت بشكل استثنائي وفريد ، دون أن تمارس هذه الرذيلة التي غالبا ما تمارسها الشعوب الحاصلة على الحرية والاستقلال .

وات :

لماذا تعتقد أن النزعة القومية في الوقت الحاضر ، أصبحت أكثر خطورة مما كانت عليه من قبل ؟

رسل :

اوه ، لان ذلك يرجع الى التعليم ، لقد عاد علينا التعليم بالكثير . . والكثير جدا من الاضرار ، حتى لقد تصورت في بعض الأحيان أنه كان ربما كان من الأفضل أن يظل الناس الى الآن غير قادرين على القراءة أو الكتابة . فالسواد الأعظم من الناس عندما يتعلمون القراءة والكتابة ، يصبحون مهينين لقبول كافة ألوان الدعاية ، والدعاية في كل دولة من الدول خاضعة لرقابة الدولة ، ولا توجه الا حسبما تشاء الدولة ، وما تريده الدولة هو أن يكون المواطن على أهبة الاستعداد ، لأن يورد نفسه موارد التهلكة لدى تلقيه أول اشارة .

وات :

لقد كنت تقول منذ قليل ، ان القومية ربما كانت في اعتقادك ، من أكثر الأمور ضرراً في العالم ، فهل تقصد بذلك أنها ربما كانت أشد خطراً من انشيوغيه ؟

وسل :

حسن ، لست أعتقد أن القومية أشد خطرا من التوتر القائم بين الشرق والغرب ، فهذا في اعتقادي هو الخطر الأكبر الذي يهدد العالم . ولكنني أرى انه لو زال التوتر الحاصل بين الشرق والغرب ، وهو ما ينبغي أن يحدث ، فإن القومية يمكنها أن تهدد الجنس البشري ، بأكثر مما يهدده الانتشار السلمى للشيوعية .

وات :

ألا يوجد هناك حل لمشكلة القومية ، بعيدا عن الغزو الوشيك الوقوع ، الذي يمكن أن يشنه علينا اله الحرب ؟

وسل :

حسن ، فهذا بطبيعة الحال من شأنه أن يقضى على المشكلة فورا ، وعلينا في هذه الحالة أن نبحث لأنفسنا عن قومية عالمية تحمي كوكبنا الأرضي ، من أى عدوان تشنه علينا الكواكب الأخرى . وعلينا أن نعلم أولادنا في المدارس كم كان كوكبنا الأرضي دائما أبدا أكثر نبلا وسموا من غزاة المريخ الحقراء ، الذين لا ينبغي علينا أن نتعلم منهم شيئا ، وهذا معناه أننا فوق كوكبنا الأرضي لا يجب أن نرتكب أية خطيئة ، وهذا في اعتقادي يمكن أن يكون الحل البسيط لمشكلة القومية ، وإن كنت

أخشى ألا نكون قادرين على حل المشكلة بهذه الطريقة ، لذا لا نجد أمامنا سوى تعليق الآمال على ألا يضع الناس نصب أعينهم غير الأهداف الايجابية ، الأهداف التي من شأنها أن تحقق الرخاء لأمتهم وللأمم الأخرى ، وان يفضلوا تلك الأهداف على غيرها من الاهداف السلبية التي تجر علينا شتى ألوان النزاع •

المحاورة الثامنة

بريطانيا العظمى

ودرو وات :

هل تعتقد يا لورد رسل أننا في بريطانيا العظمى قد اقتربنا من الصواب في مزجنا بين الرأسمالية والاشتراكية ؟

لورد رسل .

نعم ، هذا ما أعتقد فيه ، وفي رأيي أننا قد حققنا المزج الصحيح فيما بينهما في الوقت الحاضر . ولكنى لا أستطيع القول بأن هذا المزيج سيكون هو الصواب الى الأبد ، ذلك لأن الظروف في تغير مستمر . ولقد كنت أرى لزمن طويل ، ولازلت أرى الآن، أن أى نظام من النظم الاقتصادية اذا وصل بسرعة الى مرحلة

الاحتكار ، يكون من الأفضل أن تتولاه الدولة ، بدلا من أن يخضع للمشروعات الخاصة ، وهذا الى حد ما هو ما حققناه الآن في إنجلترا .

وات :

وهل تعتقد ان هذا النظام من الممكن أن يكون عادلا بوجه عام ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أنه عادل بمقدار ما يحسن تطبيقه ، صحيح أنه ليس العدل الكامل ، ولكنه العدل الذي لا بديل له .

وات :

وهل ما تقوله هذا يمثل الفضائل الرئيسية في المجتمع البريطاني ؟

رسل :

حسن ، ينبغي أن نضع في اعتبارنا أولا وفي المقام الأول ، نوعا بعينه من أنواع الفضائل الحميدة ، لا أقول في تعاملاتنا مع الشعوب الأخرى غير البريطانية ، فهذا موضوع آخر ، ولكننا في تعاملاتنا الداخلية ، نرى أن البريطانيين أكثر ودا وتعاطفا من أغلب الشعوب التي قمت بزيارتها .

وات :

هل يمكنك أن تستطرّد قليلا في شرح هذا الرأى ؟

رسل :

نعم ، ولا مانع عندي ، فأنا لا أظن أن الشعب البريطانى لديه تلك المعتقدات الجامدة ، التى نجدها شائعة في دول أخرى ، ومرجع ذلك في رأى الى حد ما ، أننا لم نتعرض لأى غزو خارجى منذ عام ١٠٦٦ ، وبالتالي لم نجد في تريحنا أى سبب من الأسباب التى تدعو الى أنواع الوحشية التى وجدناها في أغلب البلاد .

وات :

هل تعتقد أن الشعب البريطانى أفضل من أكثر الشعوب الأخرى ، من حيث اهتدائه الى نظام جيد لتحقيق العدالة ؟

رسل :

حسن ، ولكنى لا أعرف بالضبط ماذا تعنى بكلمة العدالة، هل تعنى عدالة القانون ، أم العدالة الاقتصادية ؟

وات :

لا بأس ، فأنا اعنى بها الاثنين .

رسـل :

أعتقد أنه من الصعوبة بـكان تحقيق العدالة الاقتصادية الكاملة ، وربما كان تحقيقها مطلباً بعيد المنال ، ولو أنني أرى أننا قد اقتربنا منها على النحو الذي كنا نأمله وتـمناه ، ولا شك أننا اقتربنا منها أكثر بكثير من الدول الشيوعية ، التي لا تزال المسافة فيها بين الأغنياء والفقراء ، أكبر مما هي عندنا الآن .

وات :

ماذا عن العدالة القانونية ، وعدالة التعامل ؟

رسـل :

لا بأس ، ولو أنني لا أظن أننا قد بلغنا فيها حد الكمال ، ولا أظن أنه قد تحقق في أية دولة أخرى ، ولو أننا في ذلك أفضل من غيرنا بكثير .

وات :

وماذا عن رغبتنا الجمحة في التباهي بالعظمة ؟

رسـل :

أظن أنها ربما كانت فضيـتتنا الكبرى ، ولو أنها لم تكن لدينا على الدوام ، لقد افتقدناها في القرن السابع عشر ، حينما

عائنا الكثير من المتاعب والاضطرابات . غير أننا صممنا في عام ١٦٨٨ على التخلص من مثل هذه المتاعب والاضطرابات ، التي لا قبل لنا بها ولا بالزيد منها ، وعلى ذلك اتتهجتنا سياسة التسوية أو الحلول الوسط ، التي حققت نجاحا الى أقصى حد ، خذ مثلا الثورة الفرنسية ، عندما نشبت هذه الثورة ، واجهت الارستقراطية الفرنسية هذا السؤال : « هل تفضلون التنازل عن امتيازاتكم ، أم تفضلون قطع رؤوسكم ؟ » . وكانت الاجابة « قطع رؤوسنا .. بطبيعة الحال ! » . وبالفعل تم لهم ما أرادوا . أما في إنجلترا ، في عام ١٨٣٢ ، عندما قامت حركة الاصلاح تبني مجلس العموم قضية تنازل الارستقراطية عن امتيازاتها ، وجدى نفسه الذى كان شديد النزعة الأرستقراطية ، شارك في حركة الاصلاح .

وان :

جدك .. النورد جون رسل ؟

رسل :

نعم ، وربما يرجع اليه الفضل في أن رأسى لا تزال فوق كفى الى الآن .

وت :

وكيف أدى ذلك الى اختلاف الجزر البريطانية عن القارة
الأوربية ؟

رسل :

القارة الأوربية أكثر صرامة بكثير ، وعليك أن تختار بين
هذا وذات ، ولا يمكنك أن تحقق التكيف الملائم بين الاثنين .
وأستطيع أن أسوق لك مثالا على ذلك من الفلسفة . في وقت
ما . كنت أعيش في پرستون بأمريكا ، حيث كان يعيش أينشتين .
وكنت قد اعتدت أن أزوره مرة كل أسبوع ، فألتقى به في بيته .
وأقابل آخرين من أبرز المثقفين الألمان ، وكانوا جميعا من اليهود
المنفيين خارج ألمانيا ، الذين يشعرون بالعداء المرير نحو الحكم
النازي ، ويدنون بكل ما تجبه من الليبرالية . وعلى ذلك اعتدنا
مناقشة مشكلات الفلسفة الأساسية ، والرغبة تحدونا في الاتفاق
على حل هذه المشكلات ، دون أن ينشأ لدى أحد منا أى شعور
بالعداء . ولكن هوة الخلاف بيننا سرعان ما كانت تنشأ ، اذا
ما تناولنا الأساسيات ، وعبثا نحاول عبور هذه الهوة . أما هم :
فكانوا يتمسكون بنوع بعينه من المثالية الصوفية ، في الوقت
الذى كنت متمسكا فيه بالتجريبية الصارمة ، ولم نستطع أن
نلتقى ابدا .

وات :

هل يمدنك ان تعتبر نفسك جزءا من التراث البريطاني ؟

وسل :

أوه ، هذا كثير جدا ، فالتراث البريطاني كما تعلم ، ينحدر أصلا من لوك فهو الذي صبح بفكره ، جانبا من تفكير الفلاسفة الثلاثة الكبار في الفلسفة البريطانية ، فعلى أيام شبابه : كنت المثالية الألمانية تجتاح الجامعات البريطانية ، ولكن الألمان عندما غزوا بلجيكا ، كان قد ثبت للجميع سوء الفلسفة الألمانية ؛ وعلى ذلك شبيت عن الطوق ، وأنا رافض للفلسفة الألمانية بأى حال من الأحوال .

وات :

وهل تشعر في قرارة نفسك بأنك بريطاني ؟

وسل :

بالتأكيد ، وبأنتى جزء من التراث البريطاني .

وات :

هل تعتقد أن هذا التراث قام بدور كبير فى جعل الطبيعة البريطانية تشعر باكتفائها الذاتى بشكله متوازن ومعقول ؟

رسـل :

نعم . أظن هذا ، أظن أننا نحب التراث ما لم يسبب لنا
ضرا بليغا . خذ على سبيل المثال ، مسألة إطلاق الأسماء على
الشوارع ، فى كل بلد من بلدان القارة التى أعرفها ، تراهم
يغيرون أسماء الشوارع من حين لآخر ، كلما تغير القادة
السياسيون ، وحتى الرجال العظام الذين اعتادوا على تمجيدهم .
لا يثبتون على تمجيدهم طويلا ، فلو كان شأننا شأن بلدان
القارة الأوروبية ، لأطحننا بنصب الدوق يورك ، لمجرد أننا لم نعد
نمجد الدوق يورك ..

وات :

ما هى الجوانب الأخرى التى تجول بخاطرك ، ونحن
بصدد الحديث عن التراث ؟

رسـل :

بالطبع ، كل أساليب الحياة التى نسير عليها ، الأسلوب
الذى يتبعه الناس فى ساحات القضاء ، والأسلوب الذى يتبعونه
فى الادلاء بأصواتهم لاختيار نوابهم فى مجلس العموم ، وكل
أساليب الحياة الأخرى ، التى تنحدر من التراث ، والتى يجبها
أغلب أفراد الشعب الانجليزى ، ولا يرغبون فى محوها أو القضاء
عليها .

وات :

وما رأيك في المجلس الخاص ، باعتبارك واحدا من أعضائه ،
وأعنى به مجلس الشيوخ أو مجلس اللوردات ؟

رسل :

أجل ، مجلس اللوردات ، وهو بالفعل مجلس خاص ،
ولا أدري ان كنت أستطيع حقا أن أدافع عنه ، نظرا لغرابة أطواره ،
وان كنت أرجح أنني استمتع به على أية حال .

وات :

وماذا عن رأيك في الملكية ، هل ترى أنها تقوم بدور كبير ؟

رسل :

نعم ، أنا في صف الملكية تماما ، واذ لم تكن موافقا على
الملكية ، كان لزاما عليك أن تبحث عن رئيس للجمهورية ، وانها
أهمية شاقة أن تختار رئيسا للجمهورية . وعلى أية حال ، فإن
الناس لن يستمروا على حبه ، نصف الشعب ، أو حوالى النصف ،
لن يجوه طوال الوقت . أما في حالة الملك ، ففى مقدورنا جميعا
أن نجبه ، وهذا أفضل بكثير ، وهو ما أفضله شخصيا ، أكثر من
أى شيء آخر .

وات :

هل ظلت على احترامك الدائم للملكية ؟

رسل :

أوه ، بالطبع ، لقد شعرت نحوها بهذا الاحترام ، في
مرحلة باكرة من عمري ، فعندما كنت في الثانية من عمري ،
زارتنا الملكة فيكتوريا ، ويومها علت أسرتي الدهشة ، لشعوري
نحوها بكل هذا الاحترام .

وات :

وماذا عن التاريخ ؟ هل تعتقد أن الوعي بالتاريخ في
بريطانيا ، مرجعه الى نظام الحكم الملكي ؟

رسل :

لا بأس ، وان كنت لا أدري الى أى حد يرجع الوعي
بالتاريخ الى نظام الحكم الملكي ، ذلك لأن هذا الوعي كان
موجودا سلفا لدى أولئك الذين ناصبوا الملكية العدا ، ولقد
قرأت فيما مضى ، الكثير من الأدب الذى ظهر في فترة الحرب
الأهلية البريطانية ، والذى يعزى ظهوره الى الارستقراطيين من
النورمانديين الأجانب ، ومع ذلك لمست فيهم وعيا حادا بالتاريخ
على الرغم من أنهم كانوا من الثوريين .

وات :

هل من الضروري في رأيك ، أن يكون لدى المواطن وعى بالتاريخ ؟

رسل :

نعم ، ان وعى المواطن بالتاريخ مسألة بالغة الأهمية ، أنه يعطيه عمقا وثقة سواء في الشعور أو في التفكير .

وات :

وهل تعتقد أننا تتمتع بذلك ؟

رسل :

بالطبع ، أننا في انجلترا تتمتع به كثيرا ، وليس من شك في أن وجود البنايات القديمة يذكى هذا الوعي ، كوجود أطلال الرومان وكل ما شاكل ذلك . ان لدينا الكثير مما يذكى الوعي بالتاريخ في هذا البلد ، وهو ما يجعلني أشعر بالغبطة والسرور .

وات :

هل توافقتى الرأى ، على أن بريطانيا تعتبر من أكثر بلاد العالم غطرسة وشعورا بالعظمة ؟

رسـل :

أوه . بالطبع . ولو أن ذلك ليس صحيحا على الإطلاق ،
فلقد رأيت من البلاد ما هي أكثر منا شعورا بالفتنة والعظمة،
وبخاصة في العالم الغربي ، حيث يمتد هذا الشعور الى داخل
البيت . وعلى أية حال ، فهناك قدر كبير من هذا الشعور في
هذا البلد ، قدر كبير جدا .

وات :

وهل ترى في ذلك شيئا من الضرر ؟

رسـل :

نعم ، فيه شيء من الضرر ، أو بالأحرى فيه من النفع بقدر
ما فيه من الضرر ، أفصد أنه طالما كان الشعب الذي يشعر
بالعظمة أفضل مما هو عليه فلا ضرر في ذلك ، فان كان شعوره
بالعظمة مجرد شعور تقليدي ، ففي ذلك ضرر . . أي ضرر .

وات :

هل يمكنك أن تضرب لي مثلا لما تفصده من الشعور

بالعظمة ؟

رسل :

اننى أذكر زميلا قديما من زملائي في جامعة كيمبريدج ، كان يدعى أوسكار براوننج ، وكان ممن تنطبق عليهم صفة الفطرسه ، وذات يوم زارتنا الامبراطورة فريدريك في الجامعة . وأبدت أسفى لعدم رؤيتها لزميل آخر من زملاء الكلية ممن كانت تحبه كثيرا لو أنها رأته . هذا في الوقت الذي كان أوسكار براوننج فيه يتجول طوال اليوم فوق صهوة جواده ، حول الجامعة ، وعندما قابلته أخيرا في المساء ، وكان مجهدا للغاية ، اذا به يقول: « لقد كنت أطارد الامبراطورة طوال اليوم ! » .

وات :

أذكر أنك حدثتني يوما عن رجل يدعى كيف ؟

رسل :

أوه ، أجل ، انه مثال من أمثلة المتفطرسين ؛ لقد كانت أسرتي تعيش في « يشموند بارك » وهو الحى الذى نشأت فيه ، وكان يسكن هذا الحى رجل يدعى كيف ، وكان من أهالى ريشموند البارزين ، حتى لقد ذهب بعض أهالى الحى الى القول بأنه جدير بالحصول على نوط الفروسية ، وبالفعل أجمعوا على تقديم التماس يطالبون فيه بحصوله على هندا النوط ،

وجاءوا الى جدتي ، أرملة رئيس الوزراء ، فما كان منها الا ان قالت لهم : « أوه ، لا ، هذا من اختصاص الملكة » . وعلى ذلك لم تستطع الاقتناع بوجوب تأثيرها على الملكة في أمر كهذا الأمر ، ومن ثم رفضت التوقيع على طلب الالتماس . والطريف أن ابن « كيف » هذا ، أصبح فيما بعد رئيسا للقضاء ، فما كان منه الا أن أرسلني الى السجن !

على أية حال ؛ لقد أضرت بعض الشيء من جراء هذه الغطرسة ، لأن أخي اعتاد عليها وعلى المناداة بها ، مما أصابني بعض الشيء ، حتى أنه كان يقول لي : « بالطبع ، « كيف » الصغير سوف يفعلها معك ، لأنه كان تلميذي في ونشستر » .

وات :

وفعلها معك ؟

رسل :

فعلها معي ، أوه ، بالطبع .

وات :

هل تعتقد أن أمريتا ، سوف تصبح مثل بريطانيا لا

رسـل :

لا ، لا أعتقد هذا لعدة أسباب ، أهم هذه الأسباب أن النسبة أو التناسب بين الانجليز والأمريكان محفوظة باستمرار ، وبصرف النظر عن هذا ، هناك أسباب أخرى ، أحد هذه الأسباب ، أن أمريكا ليست لها جذور في الماضي ، كتلك التي لدى أى بلد من بلاد أوروبا ؛ وسبب آخر ، هو أن البريطاني الذى يرحل الى أمريكا ، هو أصلا البريطاني الذى لا يستطيع أن يتنازل عن الخاصية البريطانية ، خاصة حب التسوية أو الحلول الوسط ، فى الوقت الذى يلتقى فيه هناك بالعقلية المتطرفة التى استقرت على حب التطرف ، والتي لا تستطيع أن تتواءم مع عقليتنا نحن ؛ هذا بالإضافة الى أن قدامى المستوطنين ، كانوا دائما ممن اشتبكوا فى قتال الهنود الحمر ، وهو ما أدى بهم الى تكوين سلالة خاصة .

وات :

هل ترى أن وجهتنا الديمقراطية مسألة ترجع الى التاريخ، أم الى المزاج ، أم الى المناخ ، أم الى شىء آخر ؟

رسـل :

أعتقد انها مسألة ترجع الى التاريخ قبل رجوعها الى أى شىء آخر ، وربما كان من أهم اسبابها فى نظرى ، اننا لم نتعرض

منذ عام ١٠٦٦ لآى غزو خارجى . فى الوقت الذى تعرضت فيه كل بلدة من بلدان القارة الأوربية لغزاة أجنب ، وليس من شك فى أن الغزاة الأجنب لهم تأثيرهم السبىء ، والسبىء جدا على عقلية الشعوب التى تعانى من غزواتهم .

وات :

هل تعتقد أن الارستقراطية البريطانية ، استطاعت فى عام ١٨٣٢ ، أن تدرك ما كان جدك يحاول أن يعمل من أجلهم بحركته فى الإصلاح ؟

رسل :

لا بأس ، بعضهم أدرك ، والبعض الآخر لم يدرك ، أما البعض الذى لم يدرك شيئا من حركة الإصلاح ، فقد ظل صامدا على أمل أن يحقق ما يريد ، وأما البعض الذى ادرك حركة الإصلاح ، فقد استوعبها فى رأى استيعابا كاملا .

وات :

سل نعتقد ان هذا هو ما حدا بالطبقات العليا فى بريطانيا ، الى تقديم التنازلات ، حتى لا يفقدوا ما يتمتعون به من امتيازات؟

رسـل :

نعم ، أعتقد هذا ؛ على الأقل لكي يتجنبوا الثورات ، ويتجنبوا قطع رؤوسهم ، ويتجنبوا كل ما شابه ذلك ؛ لقد أظهرت لهم حركة الاصلاح ما كان يمكن أن يحدث لهم ؛ لو لم يكونوا عقلاء .

وات :

هل تعتقد أنهم لا يزالون على هذا الادارك ؟

رسـل :

أوه ، نعم ؛ بالتأكيد .

وات :

هل تعتقد أنه مما يهم بريطانيا العظمى الآن ، أنها لم تعد بالفعل واحدة من القوى الكبرى ؟

رسـل :

لاشك أن شعورى الطبيعى ينتابه الأسف لذلك ، أقصد شعورى الوطنى العدى ، وهو الشعور الذى يملؤه الأسف ، غير أننى عندما أفكر فى الأمر بطريقة غير شخصية ، لا أشعر بأهميه هذه المسألة ، أو بأن هذه المسألة من الممكن أن تهتم كثيرا .

وات :

لماذا تظن أنها لا تهتم كثيرا ؟

رسل .

حسن ، لأن الفضائل المميزة للشعب البريطاني هي في نظري ، مما يظهر داخل البيت أكثر مما يظهر في خارجه ، ومبلغ علمي أننا لم نكن أفضل بكثير من غيرنا من الشعوب الأخرى ، التي تبادلنا معها العلاقات . سواء على مستوى العلاقات الخارجية ، أو العلاقات التي تهتم المواطنين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لا بأس من افتراض وجود دول أقوى من دول أخرى .

وات :

هل تعتقد ان هذه الدول التي أصبحت أكثر منا قوة ، سوف تقوم بدور أفضل ؟

رس :

لا ، لا اعتقد انها سوف تقوم بدور افضل ، وكل ما أمل فيه هو ان تقوم امريدا بدور انفع ، ولئني لا اتوقع لها ان تقوم بدور افضل .

وات :

كيف ترى مستقبل بريطانيا العظمى ؟

رسل :

انتى أرى مستقبل بريطانيا العظمى فى ضوء تحلىلى لما حدث فى هولندا ، لقد كانت هولندا قوة كبرى فى القرن السابع عشر ، ثم توقفت عن أن تكون كذلك . ولكنها لم تعد قوة كبرى بفعل أية كارثة نزلت بها ، لقد انكسرت قوتها بدون أن تصيبها أية نكبة ، وانما تراجع من تلقاء نفسها لتصبح قوة أصغر ، ولكنها أكثر احتراماً وتحضراً ، وهذا فى اعتقادى هو قصارى ما تأمل فيه .

وات :

هل تستطيع أن تصف لى نوع المجتمع الذى ينبغى أن يكون فى هذا الحال ، أو تحت هذا الوضع ؟

رسل :

لا أدرى بالضبط ، ولكنه فى تقديرى سيكون كما هو عليه الآن بشكل أو بآخر ، ستدخل فيه جوانب من التراث ، ممتزجة بجوانب أخرى من الاشتراكية ، وكلا الجانبين سوف يتعايشان سوياً .

وات :

هل تعتقد أن بريطانيا ستظل تمارس دورها كقوة معنوية لها
تأثيرها في العالم ؟

ورسل :

لا بأس ، بودى أن أعتقد ذلك ؛ لكن الأمر يتوقف على
قادتنا السياسيين ؛ ولا أدري أى نوع من القادة السياسيين سوف
تأتى بهم الأيام •

المحاورة التاسعة

دور الفرد

ودرو وات ؟

وماذا تقول عن دور الفرد في المجتمع ؟

لورد رسل :

طالما راودنى التفكير في أوجه النشاط ، التى يمكن للفرد أن يقوم بها ، خاصة اذا كان عضوا في منظمة اجتماعية ، وفي تقديرى أن هناك من أوجه النشاط ذات الأهمية القصوى والنفع البالغ ، ما هو خليق حتى الآن ، بجهود الأفراد ، دونما احتياج لمعونة أية منظمة اجتماعية ، وان كانت هذه الأنشطة في طريقها الى الاعتماد على مثل هذه المنظمات . ان كبار رجال العلم في

اماضى ، من أمثال كوبرنيكوس ، وجاليليو، ونيوتن، ودارون،
لم يعتمدوا على أجهزة بالغة التكاليف ، وانما أنجزوا عملهم
كأفراد وكانوا قادرين على هذا الانجاز . وذلك على العكس من
أى عالم فلك فى الزمن الحديث ، فعندما التقيت فى ولاية
كاليفورنيا ، بأحد علماء الفلك المرموقين فى هذا العصر ، من
بعد جهودهم على درجه بالغة من النفع والأهمية ، وجدت ان هذا
الجهد يعتمد اعتمادا كاملا على أجهزة تليسكوب شديدة القوة.
وأن هذه الأجهزة تابعة لأحد المراصد الفلكية التى يمتلكها أحد
كبار الأثرياء . وفى أثناء تناول طعام العشاء ، شرح لى هذا
العالم الفلكى ، أنه ما كان يستطيع أن ينجز عمله ، لو لم يكن
على وفاق مع أمثال هؤلاء الرجال الأثرياء .

وات :

وما هو الحل فى نظرك ؟

رسل :

على أية حال ، لا أعتقد أن هناك حلا ، لمثل هذه المشكلة
الجزئية ، ما لم تكن هناك رغبة عامة فى المزيد من المعرفة ، وربما
كان هذا من قبيل الآمال العراض ، ولكنى لا أجد بديلا آخر
يمكن عمله .

وات :

وكيف يتسنى لأحد أن يطالب بحق استخدام مثل هذه
التجهيزات البالغة التكاليف ؟

ورسل :

يمكن ذلك في حاله ما اذا كان لك حق الزمالة الاكاديميه ،
وهذه مسألة يمكن تحديد نسبتها في العلم لحسن الحظ ، ووفقا
لمقدرة الانسان ، ولكنها في الفن أمر مختلف كل الاختلاف .
فالشاعر أو المصور أو المعمارى ، لا يلزمه أن يكون مبتكرا هائلا
حتى يرضى معاصره ، بل ان من أهم المبتكرين من لا يرضى
معاصره ، لأن ذلك في الفن أمر على درجة كبيرة من الصعوبة .

وات :

ولكن . هل في مقدور الفرد أن يحقق قدرا أكبر من
الحرية العلمية والثقافية ، وما الذى تمنيه هذه الحرية على وجه
التحديد ، من حيث أهميتها للمجتمع ؟

ورسل :

حسن ، انا بذلك نصل الى النتيجة القائلة بأن حرية
التعبير ، بما تنطوى عليه من اهمية في تشكيل السلوك ، يمكن

نفسهما الى حرية شخصيه وحرية ابداع ، وما اسماه بحرية
الابداع ، ذلك الحافز الذي يستهدف انتاج شيء ما ليس متوفرا
لدى الجميع ، ولا يمكن اتزاعه من أى شخص آخر ،
أما ما أسماه بالحرية الشخصية فهو ذلك الشيء الخصوصى الذى
تكتسبه لنفسك من بين الجميع ، كرهيف الخبز مثلا . وكلا
النوعين من الحرية له وظيفته بطبيعة الحال ، ولا بد للانسان
أن يكون امانا على ممتلكاته الخاصة حتى يظل على قيد الحياة ،
أما الحوافز التى لها أهميتها الحقيقية ، ونحن بصدد الحديث عن
عالم الحرية ، فهى حوافز حرية الابداع ، فلو أنك شرعت فى
تظم قصيدة من الشعر ، لما استطعت أن تمنع غيرك من نظم
قصيدة أخرى ، ولو أنك رسمت لوحة فنية ، لما قدرت على منع
غيرك من رسم لوحة فنية أخرى ، فهذه جميعا من قبيل حرية
الابداع ، ولا تمارس على حساب الآخرين ، وبالتالي ينبغى أن
يتوافر لها التقدير المطلق من الحرية .

وات :

هل تعتقد أن الحرية العلمية والثقافية بسبيلها الى

الاضمحلال ؟

رسـل :

اجل ، ان اصمحللها امر محتوم فى الاعم الاعلـب ، لكن اصمحللها، ربما كان فى المجالات القنيه اهل منه بتتيرى المجالات العنسية . فمن المؤكد أنها آخذة فى الاضمحلل فى مجالات العلم، لذلك سبب الذى سبق أن ذكرته . فالانجازات العلمية باهظة التكاليف فى الزمن الحاضر ، حتى أن عالما من العلماء لا يمكن أن ينجر مثلا انجز جاليليو بمنظاره الخاص ، وفى ذات الوقت لا يستطيع مثل هذا العالم أن يصنع منظارا حديثا على ثقفته الخاصة .

وات :

هذا صحيح ، ولكن من المؤكد أن ثمة مزية كبرى فى الوقت الحاضر ، تجعل العلماء يمضون فى اكتشافاتهم ، على العكس من علماء الزمن الماضى ، الذين كانت اكتشافاتهم العلمية تعرض حياتهم للخطر ، ورقابهم للقطع .

رسـل :

لا أظن أن هذا القول صحيح كل الصحة ، فلا يوجد هناك قانون لتنظيم قطع الرقاب ، ولكن اذا كانت لهؤلاء العلماء سمعة سيئة من الناحية السياسية ، كما يحدث فى كثير من

الاحيان ، فلن تكون لهم حرية الحصول على ما يلزمهم من
المعامل •

وات :

ولكن ، هل تكون الحرية الثقافية والحرية العلمية ،
مكفولة حقيقة بهذا المعنى ؟

رسل :

لا ، لا أظن هذا ، لا أظن أنها تكون مكفولة ، وانواق
أن أولئك الذين يحرزون أى تقدم هام فى أى مجال من المجالات ،
هم فى الأعم الأغلب ، ممن يحرصون على أن تكون لهم مكانة
عامة ممتازة •

وات :

هل يمكنك أن تعطينا أمثلة على أمثال هؤلاء الرجال ؟

رسل :

خذ مثلا كوبرنيكوس ، وخذ أيضا جاليليو ، كلاهما ركب
الصعب من أجل اكتشافاته ، ودارون بطبيعة الحال ، كان ينظر
اليه فى حياته على أنه انسان لا ينبغى ذكره ، وكذلك كان ينظر
الى أغلب أولئك الذين حققوا اكتشافات هامة •

وات :

ألا يعد من سوء الطالع ، ان أولئك الذين يقدمون على أعمال ، قد تحقق أولا نحقق نجاحا مرموقا ، يلاقون قدرا كبيرا من المعارضة ؟ ألا يمكن مناقشة هذه الأعمال ، ووضعها موضع الاختبار ، دون أن تدس عليها نظريات التشويش الاعلامي ؟

رسل :

على أية حال ، لا أظن أن هدا من شأنه منع نظريات التشويش الاعلامي ، فالحكومات انى سمعت عنها في كافة أرجاء العالم ، تهتم بمثل هذه النظريات ، بل وتشجع عليها ؛ وما لم يكن شرعيا أو قانونيا من هذه النظريات ، يلاقى معارضة شديدة . وفي اعتقادي أن هذا الموضوع يحتاج الى كلام كثير ، فاذا لم تكن المعارضة شديدة القسوة ، كانت حافزا مثيرا ، ولكنها اذا كانت قاسية أكثر مما ينبغي ، فانها لا تشكل أى حافز على الاطلاق . وعلى كل حال ، اذا تعرض رأسك للقطع ، فان ذلك من شأنه أضعاف قدرتك على التفكير .

وات :

وما السبب في رأيك ، الذى يجعل كثيرا من الاكتشافات ، تحدث صدمة للناس ؟

رسـل :

لأنها نجعلهم غير امنين ، فعل دائن بشرى ، شانه شان اى حيوان . يريد أن يعيش فيها يشعر أنه بيئة آمنة ، وأية بيئة جديدة يمكن اكتشافها ، تعرضه لما لا يتوقعه من أخطار ، فاذا أخبرك أحد من الناس بأن بعض ما كنت تعتقد فيه اعتقادا جازما ، لم يكن صحيحا في حقيقته ، فانك تصاب بصدمة مخيفة ، ولا تملك الا أن تصيح : « أوه ! لم أكن أعرف ما كنت فيه ، ومن يدرينى اى ارض تلك التى كنت ساضع فوقها قدمى ، او لا أضعها على الاطلاق » وبالتالي تجد نفسك فى دوامة من الفزع .

وات :

لا بأس ، فهذا من شأنه أن يشجع الاكتشافات فى عالم الفكر النظرى ، عنها فى واقع التطبيق العلمى ، أعنى ، أن أحدا من الناس لا يفكر فيما اذا كان هناك انسان يستطيع أن يخترع آلة تصل به الى القمر .

رسـل :

لا ، أبدا ، انهم يفكرون أو على الأقل بعضهم يفكر فى ذلك ، ولا أعتقد أن كثيرا من الناس يفكرون فى اختراع آلة ، من شأنها تدمير الجنس البشرى ، وان يكن مثل هذا الاختراع من صميم العلم .

وات :

اجل ، ولكن الا يعد ذلك شيئا مختلفا عما افصده بكلامى؟
اعنى ان كثيرا من الاكتشافات الجديدة ، مثل جهاز التلفزيون ،
لم يشكل صدمه حقيقه للناس ؟

وسل :

حسن ، فهذا اختراع جديد ، ولكن الاكتشافات التى تقام
عليها الاختراعات الجديدة ، غالبا ما يكون لها آثار فى عالم
الفكر النظرى متعارضة مع آثارها فى واقع التطبيق العملى ،
وهذه فى الأعم الأغلب تشكل صدمة لأكثر الناس •

وات :

انك تعلق أهمية كبيرة على الموضوع الخاص بدور الفرد
فى المجتمع ، لماذا تولى هذا الموضوع كل هذه الأهمية ؟

وسل :

لأن كل التقدم الهائل الذى أحرزه الجنس البشرى ، منذ
بداية التاريخ ، يدين لأفراد من أولئك الذين لاقوا عنتا شديدا
من جموع الناس •

وات :

وهل تعتقد ان الخوف من الراى العام ، حجب كثيرا من
الناس عن الإقدام على انجاز أعمال حساسة ولكنها صالحة ؟

رسل :

نعم . الرأي العام كان له تأثيره القوي ، وبخاصة في أوقات الاضطرابات التي كانت تكتنفها جنون العامة ، فما أكثر الناس الذين أصيبوا بالهلع من الوقوف في وجه جنون العامة ، اذا ما حققوا شيئا لا يرضيهم أو لا يكون في صالحهم .

وات :

وهل تعتقد أن هذا الرأي ينطبق على الفنانين والعلماء ؟

رسل :

أجل . هذا ما أعتقد فيه ، وفي رأبي أن العلماء يتمتعون بحق اقامة البرهان على صحة آرائهم في بعض الأحيان ، وذلك على العكس من الفنانين الذين لا يستطيعون أن يبرهنوا على ما اذا كانوا على صواب . فقصارى ما يأمل فيه الفنان أن يصادف تفكيره هوى عند الناس ، ممن يفكرون مثله ، وعنى ذلك تصبح الصعوبة التي يواجهها الفنان أكبر من تلك التي يواجهها العالم . ولكن الذى لاشك فيه ، أن العالم في العصر الحديث ، يواجه صعوبة هو الآخر ، فربما تقوم باكتشاف مالا يكون مرضيا لحكومته ، الأمر الذى يوقعه في بعض المشكلات .

وات :

اوه ، الا تعتقد أنه يستطيع أن ينفذ بجلده في العالم

الغريب ؟

رسل :

قد يستطيع ، وقد لا يستطيع ، فهو أمر يعتمد في أحد جوانبه على شخصه ومركزه ، ويعتمد في الجانب الآخر على درجة ما لديه من برهان ، أما الجانب الأخير فيعتمد على درجة الاقناع التي يستطيع أن يقنع بها نظام الحكم •

وات :

ما رأيك في هؤلاء الذين يمكن النظر اليهم على أنهم مفكرون ، دون أن يكونوا على وجه التحديد علماء أو فنانيين ؟

رسل :

أجل ان مثل هذا الأمر يختلف من مفكر لآخر ، ولو أن العدد الكبير من المفكرين الذين لا يعبأون بنشر آرائهم على الرأي العام ، يعرضون أنفسهم للوم والتوبيخ •

وات :

وما رأيك في الأفراد الذين لا يخضعون لأية فئة من هذه الفئات ؟

رسل :

خذ مثلا هذه الحالة الفريدة التي حدثت في أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى ، انها حالة الرجلين المدعوان ساكو وفانزتي ،

الذين وجهت اليهما تهمة الاغتيال . ان الدليل على جريستهما لم يكن كافيا ، وبعد أن ثبتت اداتهما ، كلف ثمر من الناس باعادة النظر في الدليل على الجريمة ، وكان من بينهم مدير جامعة هارفارد ، الذى أصدر حكمه هو ومن معه بادانة الرجلين ، وتنفيذ الحكم فى كل منهما . وفى اعتقادى أنه لو قدر لأى انسان ، أن ينظر فى القضية بنظرة خالية من أى انحياز ، لما ساق هذين الرجلين الى الحكم بالادانة .

وات :

حتى مدير جامعه هارفارد ، كان يعلم أنهما لم يكونا
مدنيين ؟

رس :

اعتمد انه كان يعلم ذلك بالضرورة ، وان كنت لا أستطيع أن أجزم بذلك ، لأننى لم أقرأ صفحة ضميره ، ولكننى أعتقد أنه كان على علم بذلك .

وات :

وكان السبب فى ذلك هو مجرد الرأى العام ؟

رسل :

نعم ..

وات :

أعتقد أننا بذلك نكون قد اقتربنا حثيثا من بيت القصيد
في مناقشة موضوع الحرية ، وهو أن الفرد عليه أن يضحي من
أجل مجتمع يسوده النظام ، والا ما رأيك في هذا ؟

رسل :

حسن ، في اعتقادي أن حماية النظام الاجتماعي ، مسألة
جوهرية ، فنحن نعمل بقدر الامكان من أجل عالم تختفي فيه
السرقه ، ولا يقتل فيه الانسان أخيه الانسان ، ويسوده في ذات
الوقت نوع من الأمن الداخلي الذي تحققه وسائل الشرطة .
وفي اعتقادي أن مثل هذه الضوابط التي توضع لحماية الحرية ،
صوريه للعليه ، وبحصاه في مجتمع على درجه بالفه من
الازدحام . خذ على سبيل المثال ، نظام المرور ، فعندما كنت في
سن الشباب ، لم تكن هناك مثل هذه السيارات ، وكنت
تستطيع أن تقود سيارتك كيفما تشاء ، دون أن تهتم بأى شيء ،
أما الآن ، فثمة قانون محكم لقيادة حركة المرور ، عليك أن
تطيعه ، والا عرضت نفسك وعرضت الآخرين معك ، لقد
لا مثل له من المشكلات . ومرجع ذلك الى شدة الازدحام في
العالم بوجه عام ، وفي اعتقادي أن مثل هذه الحريات القومية
التي كانت تحظى في الماضي بقدر هائل من التقييم ، أصبحت
تشكل نوعا من الضرر ، شأنها في ذلك شأن نظام المرور ، في
حالة ما اذا لم يكن لدينا مثل هذا النظام .

وات :

وهل تعتقد أننا لازلنا فى حاجة الى المزيد من الضوابط
بالنسبة لموضوع الحرية ؟

رسل :

نعم ، بالتأكيد ، لازلنا نحتاج لضوابط على الحرية القومية
وان كانت لاتزال هناك بعض الأمور غير المعقولة ، من ذلك مثلا
الاسباب التى يسمد عليها الاسرائيليون من اجل تامين الموارد
الطبيعية ، تحولت الان الى ادلة يسمونها من اجل تدويل هذه
الموارد الطبيعية ، والمثل الصارخ على ذلك هو البترول . وان
يكن من غير المعقول ، أن يصبح اقليم من الأقاليم البالغة الصغر
مما ظهر فيها ذلك القدر الهائل من البترول ، أن يصبح هذا
الاقليم ، هو المالك الأوحيد لهذا البترول .

وات :

هل تعتقد أن الحريات فى حاجة الى المزيد من الاتساع ؟

رسل :

لا بأس من أن يتسع نطاق الحريات فى المجال الذهنى ، وان
كان لابد من تحديد نطاقها فيما أسميه بمجال الملكية .



المحاورة العاشرة

التعصب والتسامح

ودرو وات :

ما هو تعريفك بالورد رسل لمفهوم التعصب ؟

لورد رسل :

دعني أعرف لك الشخص المتعصب ، فالمتعصب هو من يعطى مسألة ما أهمية قصوى . وينظر باستخفاف الى بقية الأمور الأخرى ؛ ولكي أضرب لك مثلا أقول ان الناس الطيبين جميعا يتألمون من القسوة على الكلاب ، ولكن الفرد من الناس عندما يرى أن القسوة على الكلاب بشاعة لا تقارن بغيرها ، فهنا يكون التعصب .

وات :

هل تعتقد ان التعصب يجمع ما بين جماعات عديدة من الناس ، وأن ذلك قد حدث كثيرا على مر التاريخ البشرى ؟

رسل :

نعم ، لقد حدث ذلك في فترات كثيرة في أكثر أرجاء العالم ، وانه لمرض من أمراض العقل أن يشترك في صفة التعصب جماعات من البشر .

وات :

ما هي أسوأ الظروف التي سمحت بظهور التعصب ؟

رسل :

لا بأس . ولعلني أذكر العديد من الظروف التي ظهرت فيها أمراض التعصب ، خذ معاداة السامية مثلا ، فهذا مثال من أبغض الأمثلة على التعصب ، لأنه أبرزها على الاطلاق . فضلا عن أنه من البغض بحيث يصعب تحمل التفكير فيه . ومع أنى أعلم أنه ليس من صواب الرأي التحدث فيه ، لأنه مما لا يعد من صواب الرأي ، الا أتى أقول ان معاداة السامية ظهرت بظهور المسيحية ، لأنها قبل ظهور المسيحية كانت أقل ، أقل من ذلك بكثير ، ففي ذات اللحظة التي دانت فيها الدولة الرومانية بالديانة المسيحية ، بدأت تعادى السامية .

وات :

وما الذى ادى الى ذلك ؟

رسل :

لأنهم قالوا ان اليهود هم الذين قتلوا المسيح ، وبالتالي كان لديهم ما يبزر كراهيتهم لليهود ، وليس لدى أدنى شك فى أن المسألة كانت وراءها دوافع اقتصادية ، ولكن كان هذا هو التبرير .

وات :

وبماذا تفسر ازدياد الناس ونموهم فى جماعات التعصب ؟

رسل :

حسن ، انه فى جانب من جوانبه ، يعطيهم شعورا ذفينا بالتآزر ، فأفراد الجماعة من جماعات التعصب يتتابهون الشهور بالارتياح ، كلما أحسوا أنهم جميعا أخوة فيما بينهم ، وأنهم كلهم انما يلتفون حول تحقيق نفس الهدف . وهو ما تراه واضحا فى أى حزب سياسى ، ففى أى حزب سياسى ، تجد دائما جماعة من المتعصبين ، وقد ضمنتهم نفس المصالح ، وعندما تزداد هذه المصالح ، وترتبط بالحقد على جماعات أخرى ، فان التعصب ينمو ويتكاثر .

وات :

ولكن . هل يمكن للتعصب بمرور الزمن ، أن يسفر
عن اتجاه نحو تحقيق الأفعال الخيرة ؟

رسل :

ربما يسفر عن اتجاه نحو تحقيق أفعال ، ولكنى لا أظن ،
أنه أسفر في أى حقبة من حقب التاريخ ، عن اتجاه نحو تحقيق
أفعال خيرة ، انه دائما ما يكون موجها نحو سيء الأفعال ،
لأنه انما ينطوى على التحيز ، ودائما ما يتضمن قدرا من
الكراهية ، فالإنسان يكره من لا يشاركه تعصبه ، وهذا شيء
لا يمكن اجتنابه .

وات :

هنا أرجعنا التعصب الى اعتبارات اقتصادية ، كما في حالة
الحملة الصليبية مثلا ، ألا يختفي التعصب في هذه الحالة ؛
وربما لا يسفر عن أية أضرار ؟

رسل :

لا بأس ، وان كنت لا أدري . . أو بالأحرى لا أرى أى
خير حققته الحملة الصليبية ، لقد مضت الحملة الصليبية
بطبيعة الحال ، في اتجاهين مختلفين ، في اتجاه التعصب ، وى

الاتجاه الاقتصادي ، ولقد كان الاتجاه الاقتصادي شديد القوة
في الواقع ، ولكنه ما كان يسضى وحده بدون نزعات التعصب .
لقد أمد التعصب الحملات الصليبية بحشود الجند ، أما العامل
الاقتصادي فقد زودها بأفراد القادة .

وات :

ولكن ، أى دور قامت به الشعوذة في ظاهرة التعصب ؟

رسل :

أوه ، ياله من دور فظيع ، ذلك الذى قامت به الشعوذة ،
وبخاصة منذ .. أوه .. منذ حوالى عام ١٤٥٠ حتى حوالى عام
١٦٠٠ ، انه بالفعل لدور فظيع ، كان هناك نوع من الأعمال
يسمى « مطرقة النساء الشريرات » كتبه أحد الكهنوتين
البارزين ، وكان له تأثيره في أكثر من أصيبوا بالخل العقلى
نتيجة ممارسة السحر والشعوذة ، حتى لقد اعتقد فيه الناس
اعتقادا جازما . وأغلب ظنى أن جان دارك كانت تعتقد أنها
عرافة أو ساحرة، ولاشك أن عددا كبيرا ممن حكم عليهم بالاعدام
لممارستهم السحر والشعوذة ، كانوا يعتقدون أنهم سحرة
ومشعوذون ، مما أدى الى انتشار موجة من العنف والقسوة .
ان سير توماس براون ، الذى يبدو لك من خلال قراءة أعماله،
انسائى النزعة ، وعلى درجة عالية من التحضر ، قام بدور حقيقى

في محاكمة المشعوذين بوقوفه في جانب الدفاع ، لقد ذهب الى أن انكار السحر انما هو نوع من الالحاد ، ذلك لأن الانجيل هو الذي جاء فيه . « انك لن تعاني من أن يبقى ساحر على قيد الحياة » . وعلى ذلك ، فاذا رأيت في بعض الناس أنهم سحرة . وكنت تعتقد في صواب اعدامهم بنار الحريق ، كنت كمن ينكر ما جاء بالانجيل ، وبالتالي كنت واحدا من الملحدن .

وات :

ولماذا نرى كثيرا من أصحاب العقول السليمة ، في أى مظهر من مظاهر الحياة ، على درجة كبيرة من التعصب ؟

رسل :

لا بأس ، ان سلامة العقل مسألة نسبية ، وقلة قليلة من البشر هي التي تتمتع بسلامة العقل في كافة المظاهر ؛ وأغلب الناس يكونون في موقف حرج اذا ما أصبحوا مجانين ؛ أذكر ذات مرة ، حينما كنت أقود السيارة في كاليفورنيا في يوم مطير للغاية ؛ أننا أخذنا في طريقنا أحد المارة ، ممن بللهم المطر ؛ وكان شديد النقمة على كل أنواع البشر ، حتى لقد وصفهم بأنهم شيء فظيع ، وما كان مني الا أن وافقته كل الموافقة ؛ وسرعان ما أنبرى أحد الأشخاص ذاكرة الفلبين من بين سائر البشر ، ناعتا آياهم

بالتفاهة والحقارة ، وهكذا ترى أن مثل هذا الشخص ، يتمتع
بقدر من عدم سلامة العقل .

وات :

لماذا تعطى موضوع التعصب كل هذا القدر من الأهمية ؟

رسل :

لأن قدرا كبيرا جدا من الشرور التي يعاني منها العالم ،
يرجع الى نزعات التعصب .

وات :

ولكن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، على سبيل المثال ،
تفترض أنه من الأهمية بمكان ، أن يؤمن الانسان ببعض المعتقدات
التي تبقية على قيد الحياة ، بدلا من الاعتقاد في أعمال السحر ،
هل يوجد ثمة اختلاف بين ما تفترضه الكنيسة ، وبين ما تفكر
فيه اليوم ؟

رسل :

الاختلاف يبدو من زاوية واحدة فقط ، هو أن الكنيسة
الكاثوليكية الرومانية لم يكن تفوذها من الاتساع بحيث يشمل
العالم كله ، فهناك عدد كبير من الناس لا يخضع لسلطان

الكنيسة ، بينما نجد أن القبلة الهيدروجينية أقدر على الوصول
الى كل انسان ♦

وات :

حسن ، ولكن هل لك أن تفيض لنا في ذلك ؟

رسل :

أجل بالتأكيد ، انه يستحق الافاضة ، وفي اعتقادي أن
التوتر بين الشرق والغرب ، ذلك التوتر الذي يهددنا جميعا
بأقصى درجات الفزع ، انما يرجع في أساسه الى التعصب الأعمى
سواء للشيعوية أو لمعاداة الشيوعية . فكلا المعسكرين يؤمن
بأن عقيدته وحدها هي الأقوى ، وهو يؤمن بها ذلك الايمان
الذي يجعلني أصفه بالتعصب ، فهو يطالب بالحاح أن يدمر
خصه وأن يقضى عليه ، وعنده أن هذا التدمير أهم بكثير من
مصير الجنس البشرى كله . وهذا هو التعصب ، انه التعصب
الذي يتهددنا جميعا ، التعصب الموجود عند كلا المعسكرين .

وات :

وما هو تعريفك لمفهوم التسامح ؟

ورسل :

حسن ، ان التسامح يختلف مفهومه باختلاف وجهة نظرك ،
فالتسامح فى الرأى ، فى حالة ما اذا كان حقيقة كامل النضج ،
يعنى عدم مصادرة أى رأى آخر ، طالما لا يؤدى الى فعل
اجرامى •

وات :

هل لك أن تعطينا أمثلة على هذا التسامح من عصور
التاريخ ؟

ورسل :

نعم ، لقد بدأ هذا النوع من التسامح حقيقة فى نهاية
حرب الثلاثين عاما ، وهو لم يبدأ فى انجلترا ابان هذه الفترة ،
لأننا كنا فى ذلك الوقت فى معمعة حربنا الأهلية ، ولكنه سرىما
ما بدأ بعد ذلك التاريخ • أما أولى الدول التى أخذت بمبدأ
التسامح حقيقة ، فكانت هى هولندا ، فكل قادة الفكر فى
القرن السابع عشر ، تراهم وقد اتخذوا من هولندا ملجأ لهم فى
فترة من فترات حياتهم ، حتى انه اذا لم تكن هولندا موجودة ،
لما كان لهؤلاء ذكر فى الوجود • ولم يكن الانجليز بأفضل
من غيرهم فى ذلك الوقت ، لقد كان عندنا نوع من التفتيش

البرلماني ، وكان هذا التفتيش البرلماني هو الذي قرر اداة هوبز،
وهو الذي أفنى بعدم جواز طبع أى كتاب له فى انجلترا ، ولم
يكن ذلك منذ زمن بعيد ، بعيد جدا .

١٢

وات :

هل تستطيع أن تقول أن أثينا القديمة كانت دولة متسامحة؟

رسل :

كانت بشكل أو بآخر ، دولة متسامحة ، بل كانت أكثر
تسامحا من دول حديثة حتى القرن الثامن عشر ، ولكنها بطبيعة
الحوال ، لم تكن متسامحة بشكل مطلق . فكلنا يعلم عن اعدام
سقراط ، وعن اعدام غيره من البشر ، كما أن انكساغوراس
فر هربا ، وقد أرسطو بجلده بعد موت الاسكندر ، وهذا معناه
أن الأثينيين لم يكونوا بشكل أو بآخر متسامحين تسامحا كاملا .

وات :

ولكن ، كيف يمكننا أن ندرك أننا نمر بعصر من عصور
التسامح ؟ كيف يمكننا تمييز ذلك ؟

رسل :

حسن ، يمكنك تمييز ذلك عن طريق الحريات الليبرالية ،

حرية الصحافة ، حرية الفكر ، حرية الدعاية ، حرية أن تقرأ ما نريد ، حرية أن تعتقد فيما تشاء وقتما تشاء .

وات :

ولكن ، كل هذه الحريات مكفولة اليوم في الغرب ، بدليل ما كنت تقوله منذ قليل ، من أن التعصب لم يعد له هذا القدر من الانتشار ، الذي كان له في أية فترة من فترات التاريخ ؟

رسل :

لا بأس ، ولكنني لا أعتقد أن هذه الحريات موجودة وجودا حقيقيا ، خذ على سبيل المثال ما يحدث في أمريكا ، انهم يجوثون خلال المكتبات العامة ، فاذا ما عثروا على أى كتاب به أية معلومات عن روسيا ، أحرقوه على الفور ، ولا يمكنك أن تسمى هذا تسامحا على الاطلاق .

وات :

لو لم تكن متحسين لما قدرنا على انجاز شيء ، ولو أننا تحمنا أكثر مما ينبغي لانجرنا في خطر التعصب ، كيف يمكننا أن نتأكد من أن ما نفعله هو الصواب ، وأتينا لا نلقى بأنفسنا في أتون الدولة المتعصبة ؟

رسل :

حقاً ، انه لشيء لا يمكن التحقق منه ، ولكن الذي
تستطيع أن تفعله . هو الآتي . . أن تضع لنفسك مبدأ ، هو
الآن تقدم على عمل شيء ، الا اذا اعتقدت تماما أنه صواب ،
فاذا رأيت أن الخطأ يمكن أن يؤدي الى كارثة ، فالأفضل
لك أن تحجم عن انجاز هذا الشيء . ولكي أطبق لك هذا
المبدأ ، أضرب لك مثلاً بحرق الناس على الخازوق ، فلو أن
اللاهوت السائد في عصور الاضطهاد ، كان على صواب كامل ،
لكن من الأفضل له أن يحرق جميع الهراطقة بشدهم الى
الخازوق . فاذا كان هناك أدنى شك في صواب هذا اللاهوت ،
كان حرق هؤلاء الناس ، عملاً بالغ السوء ، وفي اعتقادي أن
هذا المبدأ ، هو الذي يستطيع الانسان أن يأخذ به ، ويسير
على هدهاه .

وات :

وهل ينطبق هذا المبدأ على الحكومات والأحزاب
السياسية ؟

رسل :

أوه ، انه ينطبق عليها بالتأكيد ، أقصد أن كل من ينتمى
الى حزب سياسى ، يعتقد أن الحزب الآخر على خطأ ، وحزبه على

صواب ، ولكن ، لا ينبغي له أن يزعم لنفسه الحق في اغتيال أعضاء الحزب الآخر .

وات :

ما هي حدود التسامح ، ومتى يتحول التسامح الى فوضى وانحراف ؟

رسل :

في اعتقادي أن الاجابة الطبيعية المتحررة ، هي التي تنادي بالتسامح الكامل في الدفاع عن حرية الرأي ، في الحدود التي يسمح بها القانون ، ولا يعنى هذا المناداة بالتسامح الكامل في الدفاع عن حرية الأفعال ، التي لا يزال القانون ينظر اليها نظرة التجريم . ولكي أوضح لك ذلك ، أضرب لك مثلا عقوبة الاعدام ، وهي أقصى عقوبة في القانون ، ربما كان من حقه أن تعيد النظر في تطبيقها في أية دولة من الدول ، ولكن هذا لا يعطيك الحق ، في أن تفتال فردا من الأفراد ، اعتقدت في لحظة أنه يستحق الموت .

وات :

هل تعتقد أن التعصب يفرق العالم موجة في أثر موجة ؟
واننا اليوم نمر بموجه من موجات التعصب ، متدفع بنا الى الموت عرفا ؟

رسـل :

أوه ، هذا صحيح ، ولكن موجات التعصب هذه ، هي التي يمكن أن تلقى حتفها . لو أن الأمور وضعت في مكانها الصحيح ، أعنى لو أن العالم مر بحالة من حالات الاستقرار العادل . وظالما كان العالم عرضة لحالات القوضى وعدم الاستقرار ، فإن هذا مما يؤدي الى نمو التعصب وتكاثره ، وعلى ذلك ، فالواجب علينا أن نبحث للعالم عن حالة من حالات الاستقرار .

وات :

هل تعتقد أن هناك أملا في محو التعصب من العالم ؟

رسـل :

أوه ، أعتقد أن هناك أملا كبيرا ، وهذا الأمل يتوقف على رجال السياسة ، وفي اعتقادي أننا لو استطعنا أن نتوصل الى نظام من شأنه القضاء على شبح الحرب العالمية ، فإن التسامح وصواب التفكير كلاهما ، سينموان بخطى سريعة ، سواء في الشرق أو في الغرب . غير أنني أظن ، انه طالما كان هذا التوتر قائما ، فإن الأمر سيكون بالغ الصعوبة .



المحاورة الحادية عشرة

القبلة الهيدروجينية

ودرو وات :

ما الذي تعتقد بالورد رسل ، أنه يمكن أن يحدث ، لو قامت حرب هيدروجينية ؟

لورد رسل :

هذا سؤال بالغ الصعوبة ، ولا أحب أن أخضع الاجابة عليه لمحك التجربة ، لكن الذي يبدو لي واضحا جليا هو أنه لو قامت مثل هذه الحرب الهيدروجينية ، فان كل فرد على ظهر نصف الكرة الشمالي سيفنى عمليا ، كما ان عددا كبيرا جدا

من البشر ، ممن هم على ظهر نصف الكرة الجنوبي ، سيلقى حتفه
بفعل الغبار الذرى . وفى اعتقادى أن العالم يصبح فى موقف ،
يستحيل معه على أى انسان أن يحقق شيئاً ، مما يود الانسان
أن يحققه ، كما أنها ستكون نهاية دامية لأغلب الأشياء التى
تحظى منا بالعناية .

وات :

تقصد انها ستكون حربا بلا منتصر على أى من الجانبين ؟

رسل :

نعم ، لن يكون هناك منتصرون على أى من الجانبين ،
اللهم الا اذا كن لديك تعريف جديد للنصر ، أقصد ربما يتبقى
فى نهاية هذه الحرب ، ستة أشخاص فى المعسكر الغربى ،
وأربعة أشخاص فى روسيا ، وأربعة أشخاص آخرين فى الصين .
وهذا معناه أن أحد الجانبين يحظى بأكثرية شخصين ، واذا كان
هذا بطبيعة الحال ، هو نوع النصر الذى تعنيه ، فانه لن يكون
نصراً سعيداً على الاطلاق .

وات :

وهل تعتقد فى احتمال قيام حرب هيدروجينية ؟

رسـل :

حقيقة أمل الا تنشب مثل هذه الحرب ، ولكنى أعتقد
تما في احتمال نشوبها اذا ما بقيت الأمور على ما هي عليه الآن،
ذلك لأن الحاجة أساسا الى مواجهة مباشرة بين الطرفين ، وهي
الحاجة البالغة الأهمية من وجهة النظر العسكرية ، معناها اقحام
الطرفين في مغامرة سوء التفاهم الكامل . وربما كان ذلك ظاهره
طبيعية ، أن يفكر أحد الطرفين في أن الطرف الآخر قد بدأ حربه
الهيدروجينية ، فيفعلت من بين يديه زمام الأمر كله ، في الوقت
الذى لم يفكر أحد في ذلك على الاطلاق ، وهذا ليس أمرا
مستحيل الوقوع بشكل من الأشكال .

وات :

يذهب الناس في بعض الأحيان الى القول بأن وضع العالم
في حالة من حالات سباق التسلح ، يؤدي به حتما الى الحرب ،
هل ترى الأمر كذلك أم لا ؟

رسـل :

حسن ، ولكننى لا أود أن أقول أن الحرب تنشب حتما ،
فأنا لا أحب أبدا أن استخدم كلمة « حتما » ، ولكن سباق
التسلح من حيث هو قاعدة ، يؤدي الى الحرب . فأغلب سباقات

التسلح ، التي يمتدنى ان ادورها من السريح ، اتمت بالحرب •
وفي اعتقادي ان المسألة طبيعية جدا من وجهة النظر السيكولوجيه،
ذلك لان التسلح على احد الجانبين ، يؤدي الى الخوف والكرهية
والى المزيد من التسلح على الجانب الآخر ، وهذا بدوره يؤدي
الى قدر أكبر من التسلح على الجانب الأول ، وهكذا وهكذا ••
ينمو التسلح وينكاثر ، وتتوتر أعصاب الناس وتزداد توترا ،
الى أن يصل بهم الامر الى درجة عدم الاحتمال ، والتفكير فى أن
أى شيء آخر أفضل من احتمال هذا التوتر • هذا ما يحدث عادة
فى سباقات التسلح ، وهو ما حدث بالفعل قبل عام ١٩١٤ •

وات :

هل تعتقد بناء على ذلك ، أن الغرب فى عام ١٩٥١ ، عندما
بدأ برنامجه الكبير من أجل إعادة التسلح ، قد أثر بذلك فى
وقف نشوب الحرب ، على اعتبار أن الروس اتابهم الشعور بأنهم
لن يتمكنوا من تحقيق نصر سهل وسريع ، ولذلك لم يحاولوا
القيام بالحرب ؟

وسل :

من المحتمل أن يكون الأمر كذلك ، ولو أنه من الصعوبة
بمكان أن تعرف ما الذى كان يدور بذهن الحكومة السوفيتية

في ذلك الحين ، ولا يستطيع الانسان على الاطلاق ان يتاكد مما
اذا كانوا قد حاولوا تن هذه الحرب العدوانيه ام لا ، ولكنني
على أية حال ، أود أن أقول انه ما لم يكن هناك شيء آخر ،
غير سباق التسلح المستمر ، هو الذي يستحوذ على اهتمام
الحكومات ، فإن ذلك وحده من شأنه ارجاء نشوب الحرب •
وبعد كل شيء ، لدينا مثال حرب عام ١٩١٤ ، فقبل هذا التاريخ،
كانت هناك أزمات شديدة الشبه ، بما لدينا من أزمات حول
سياسة حافة الهاوية ، ولم تؤد هذه الأزمات الى نشوب
الحرب حتى عام ١٩١٤ ، حتى لقد هتف الناس : « أوه ، حسن،
لو أننا احتفظنا بمعدل التسلح متساويا على كلا الجانبين ، فلن
تقوم للحرب قائمة » • ولكن الأمر لم يكن كذلك ، وجاءت
الرياح بما لا تشتهي السفن ، وأخشى ما أخشاه أن يحدث
ذلك مرة أخرى •

وات :

ألا ترى أنه يمكن القول بأن وجود القنبلة الهيدروجينية،
وما قد يسفر عنه وجودها في حالة قيام الحرب ، هو الذي
أثار الفرع في قلوب الحكام ورجال الدولة ، فأحجموا عن

استخدامها حتى في ظروف الازمات المتعددة التي حدثت حول
مشكلته برلين ، على الرغم من استخدام هذه القنبلة من قبل ؟

رسل :

تستطيع أن تقول ذلك ، وتستطيع أن تصر عليه ، ولكنى
أعتقد للمرة الثانية أن التاريخ لا يقف في صفك ، فكل انسان
يذكر أن نوبل ، هذا الذى أنشأ جائزة نوبل للسلام ، وكان من
أشد المدافعين عن قضية السلام ، هو نفسه الذى اخترع
الديناميت . لقد ظن أن اختراع الديناميت سيجعل من الحرب
شيئا مروعا ، بحيث لا يفكر أحد في قيام حرب أخرى على
الاطلاق ، ولكن الأمور لم تسر وفقا لما كان يشاء ، وأخشى
ما أخشاه أن يتكرر نفس الشيء بالنسبة للقنبلة الهيدروجينية .

وات :

من المؤكد أن القنبلة الهيدروجينية سلاح مختلف عن أى
سلاح آخر كل الاختلاف ، انه ليس مجرد سلاح جبار في نفس
الميدان ، ولكنه سلاح مختلف تماما عن أى سلاح .

رسـل :

أجل ، ولكن الناس سرعان ما يعتادون على الأشياء التي تثير فيهم الرعب ، فعندما ألقيت القنبلة الذرية على كل من هيروشيما ونجازاكي ، أصيب العالم بحالة من الفزع ، وصاح الناس : « ياله من شيء فظيع ! » والآن ، أصبحت القنبلة الذرية تستخدم كسلاح من أسلحة التكتيك الحربي ، ولا يعبأ الناس بها كثيرا ، لقد أصبحت شيئا طرفا باليا ، شأنها شأن الأقواس والسهام •

وات :

وما هو الاجراء العملى الذى تراه ممكنا للحد من خطر القنبلة الهيدروجينية ؟

رسـل :

اذن ، هناك عدة أشياء ، أولها وأكثرها سهولة هو وقف التجارب الهيدروجينية ، فهذا من شأنه أن يساعد فورا على الحد من خطر هذه القنبلة ، فهو فى المقام الأول سيوقف تساقط الفبار الذرى الذى أصبح أسوأ بكثير مما كان يتصوره الخبراء . ولكن هذا فى نظرى ليس مهما كل الأهمية ، بالقياس الى

ما يترتب على إيقاف التجارب الهيدروجينية من منع ظهور قوى أخرى جديدة ، وطالما كانت القبلة الهيدروجينية موجودة في الوقت الحاضر ، في كلا المعسكرين .. الشرقى والغربى ، وطالما كانت الفرصة سانحة أمام اية حكومة لا تقدر مسؤولية الاقدام على عمل طائش ، وهى الفرصة التى تتزايد بتزايد انتشار هذا السلاح ، فان الصعوبة فى إيقاف استخدام القبلة الهيدروجينية تصبح بالغة الى حد كبير . وعلى ذلك يصبح من الضرورى فى اعتقادى الوصول الى اتفاقية بإيقاف اجراء التجارب الهيدروجينية ، وهو اجراء عملى من الناحية السياسية ، ويمكن أن يوضع موضع الاعتبار . والخطوة الثانية التى تلى هذه الخطوة الأولى ، هى الوصول الى اتفاقية بالألا تحرز القوى الجديدة هذه القبلة الهيدروجينية ، فاذا كان من بنود هذه الاتفاقية أن تتخلى بريطانيا عن قبيلتها الهيدروجينية ، ففى اعتقادى أننا نكون حكما بدخولنا فى مثل هذه الاتفاقية .

وات :

كيف يمكننا التوصل الى مثل هذه الاتفاقية ، فى الوقت الذى يتعين علينا فيه أن نوقف فرنسا وغيرها من الدول التى تشيها فى طاقتها الصناعية ، عن صنع القنابل الهيدروجينية ؟

رسـل :

حسن ، في اعتقادي اننا نستطيع أن نفعل ذلك ، اذا
أستطعنا الوصول الى اتفاقية بين روسيا وأمريكا بأن تستخدم
كل من الدولتين ، كافة قواها الاقتصادية ، وكافة أجهزتها الدعائية
في انتاع الدول التي تدور في فلكها على اتباع هذه السياسة .

وات :

هل تفترض في هذه الحالة : أن بريطانيا ستعمل من
جانبا على نزع سلاحها بالنسبة الى القبلة الهيدروجينية ؟

رسـل :

بالطبع ، اذا وجد هذا البند في هذه الاتفاقية ، فاذا نصت
هذه الاتفاقية على ألا تمتلك أية دولة غير أمريكا وروسيا لهذه
القبلة . فأغلب ظني أن بريطانيا لا تجد أمامها سوى أن تقول :
« وهو كذلك ، لسوف ندخل في هذه الاتفاقية ، نحن وغيرنا من
القوى الصغرى » .

وات :

تقصد أن بريطانيا ينبغي عليها أن تعقد صفقة تتخلى
بمقتضاها عن انتاج القبلة الهيدروجينية ، فتحدو وحدوها كل
الدول الأخرى ، وبالتالي تعوضها كل من أمريكا وروسيا .

رسـل :

نعم ، وهذا في اعتقادي تصرف حكيم ، انه مجرد خطوة
اولى ، وهو لا يضمن النتائج التي نريد لها الضمان ، ولكنه
سيكون بالتأكيد خطوة اولى .

وات :

ألا ترى أن الأمر يصبح أكثر خطورة ، لو بقيت القنبلة
الهيدروجينية فقط في حوزة كل من أمريكا وروسيا ؟

رسـل :

نعم ، انه بالتأكيد لأمر خطير ، ولكنك في الواقع لا تستطيع
أن تتحاشى الخطر طالما كانت هناك استعدادات سياسية جديدة ،
وحتى لو لم توجد القنبلة الهيدروجينية لدى أحد ، فستظل
لديهم نظرية صنعها ، واذا ما نشبت الحرب ، فما أسرع صنعها
بالنسبة لكلا الجانبين . وعلى ذلك ، فلا أظن أننا نستطيع أن
ندراً ذلك الخطر ، ما لم توصل الى سبيل يجعلنا نتفادي شبح
الحرب ، وان كنت أعتقد أن احتمال نشوب الحرب ، يمكن أن
يكون محدوداً للغاية ، لو اقتصر امتلاك القنبلة الهيدروجينية

على هاتين الدولتين . ان ذلك من شأنه أن يحد من مغامرة الحرب
المفاجئة ، ومن شأنه أيضا أن يحد من مغامرة بعض الحكومات
المتهوره ، التي قد يترأى لها انها انما تفعل خيرا بمبادرتها بإعلان
الحرب . وعلى العموم ، فهو يزيد من سهوله التفاوض حول
زيادة استقرار ما هو مستمر .

وات :

هل لنا الآن أن نترك مجال الكلام فيما يمكن عمليا أن نتفحم
به الحكام ورجال الدولة ، لندخل في مجال الكلام عن العمل
الأمثل الذي يمكن أن يحققوه ، لو أنهم اقتنعوا بالفعل ؟

رسل :

ليس الآن تماما ، ففي اعتقادي أننا سرعان ما نتفحم هذا
المجلد ، ولكن بعد الكلام عن شيء هو في نظري عملي للغاية ،
ومن الأهمية بمكان ، ألا وهو أن التوتر الدائر بين كلا
الجانبين . . بين الشرق والغرب ، سيؤكد لهما ضرورة التوصل
الى اتفاق . فحتى الآن ، ومنذ عام ١٩٤٥ ، وكلا الجانبين يظن
أن الأمر ليس أمر التوصل الى اتفاقات ، ولكنه تقديم الاقتراحات
التي يرفضها الجانب الآخر ، والتي يتحمل وزر رفضها . ومن

الطبيعي، ألا يؤدي هذا إلى أي اتفاق ، فإذا كان لا يد للحكومات من أن تحقق نتائج ، فمن الأهمية بمكان أن تصل هذه الحكومات إلى اتفاقات ، والا لتتجه بمجرد إجراء المفاوضات ، وهذا وحده لصل ، بالتقدم بالمسألة خطوة ضخمة إلى الامام . وهذا هو لن ما يعال بشأن مجال السياسة العملي .

وات :

الواقع أن النقطة الجوهرية بشأن مسألة القبلة الهيدروجينية ، هي محاولة تعاشي نشوب الحرب على الاطلاق ، لأنها اذا ما نشبت لسارع الناس إلى استخدام القبلة الهيدروجينية أو على الأقل إلى صنعها ، طالما كانت نظريتها معروفة لديهم من قبل .

رسل :

هذا صحيح ، ولهذا السبب ذاته تصبح الاتفاقات حول عدم صنع الأسلحة النووية بغير ذات أهمية ، على العكس مما يتصور الناس . وقصارى ما تحققه هذه الاتفاقات من أهمية ، هو أنها تحد من شدة التوتر ، وتزيد من احتمالات التوصل إلى نوع من نزع اسلح الدائم . ولا ينطبق هذا فحسب على الأسلحة النووية ، ولكنه يمتد فيشمل كذلك الأسلحة الكيماوية

والأسلحة البيولوجية ، التي ربما تغدو ذات ضرر لا يقل عن
ضرر القنبلة الهيدروجينية . فلو أننا وضعنا في اعتبارنا هذه
الأمور مجتمعة ، فلن يعاف الجنس البشرى طالما أننا لم نتوصل
بعد الى الطريق المؤكد مانع نشوب أى حرب من الحروب .

وات :

والآن ، كيف تتصور هذا الطريق ؟

رسل :

ثمة طريق واحد فقط ، هو الذى يمكننى أن أتصوره ،
ألا وهو اقامة حكومة عالمية يكون لها وحدها حق احتكار كافة
الأسلحة ذات الأهمية فى الحرب ، حكومة عالمية تكون مهمتها
مراعاة كل الصراعات القائمة بين مختلف الدول ، وذلك بتقديم
الحلول ، أو بالأحرى فرض هذه الحلول عن طريق القوة اذا
ما اقتضى الأمر . وينبغى لهذه الحكومة العالمية أن يكون نديها
من القوة ، بحيث يستعصى على أية دولة متمردة أن تحاول
مقاومتها ، أو العمل ضدها .

وات :

وماذا يتبقى بعد ذلك من جيوش وأساطيل وقوى جوية ،
لمختلف الحكومات القومية ؟

رسل :

لا يتبقى لها من هذا كله ، الا ما يكفي لحفظ النظام الداخلي ، أقصد ما يكفي لم يمكنك أن تسميه بالاجراء البوليسى، وما يمكن الحكومة من فرض سيطرتها الداخلية على أجهزة الدولة ، دون أن تتجاوز ذلك الى سن الهجوم على أية دولة اخرى .

وات :

هل تقصد أن تكون كل مهمة روسيا وأمريكا وبريطانيا هي وضع ضمانات السلام الداخلي ، دون أن تكون لأى منها أدنى علاقة بالمواقف الخارجية كتلك الحادثة في روديسيا مثلا ، أو في أى اقليم آخر ؟

رسل :

نعم ، هذا هو ما أقصده ، لأن السلطة العالمية ، وليست الدولة القومية ، هي وحدها صاحبة الحق في التعامل مع روديسيا أو غيرها من الأقاليم . الدول القومية ليس لها سوى مشاكلها الخاصة ، وليس لها أن تتجاوز حدودها بالتدخل في

مشاكل الدول القومية الأخرى ، فمثل هذه المشكلات القائمة بين دولة وأخرى ، ينبغي أن تكون من اختصاص السلطة العالمية وليس من اختصاص أية قوة وطنية .

وات :

وهل نجزر لهذه السلطة العالمية حق استخدام الأسلحة النووية ، ضد أية دولة وطنية ترفض الرضوخ لما تنتهي إليه السلطة العالمية ؟

رسل :

هذا سؤال صعب للغاية ، ومرجع الصعوبة فيه أنني لا أريد أن أبدي رأيا قاطعا في هذه القضية ، فاذا كانت الضرورة القصوى تقتضى منى أن أجيب بالموافقة ، فان خطورة استخدام الأسلحة النووية أنها لن تدمر فحسب الدولة التى تستخدم ضدها هذه الأسلحة ، ولكنها ستدمر كافة دول العالم بلا استثناء .

وات :

هل يحدوك التفاؤل فى أن تسلك الشعوب والحكومات جميعا ، السلوك السليم بشأن القنبلة الهيدروجينية ؟

رسـل :

لا بأس ، ثمة أوقات يحدوني فيها التفاوض، وأوقات أخرى،
لا أكون فيها متفائلا على الاطلاق . ولست أعتقد أن أحدا من
الناس يستطيع أن يخمن الى أى مدى يمكن للحكومات أن
تسلك الطريق السليم ، وقصارى ما يأمل فيه الانسان ، أن يجيء
الوقت ، الذى تستطيع فيه الحكومات أن تتفهم مشاكلها على
نحو أفضل .



المحاورة الثانية عشرة

مستقبل الجنس البشرى

ودو وات :

لقد غطينا بالورد رسل العديد من مختلف الموضوعات في هذه الأحاديث . فما قيمة هذه الأحاديث في رأيك بالنسبة لمخاوف الجنس البشرى وآماله ؟

لورد رسل :

اذن ، فهذا سؤال بالغ الصعوبة ، فأنا أرى أن احتمالات المستقبل تدعو للتفاؤل أحيانا كما تدعو للتشاؤم أحيانا أخرى ، ولكننا اذا أردنا الدقة والتحديد ، ففى اعتقادى أن دواعى التشاؤم أكثر .

وات :

اذن ، دعنا نبدا بدواعى التشاؤم ، ما هى الآمال المعقودة
على دكت فى رايت ؟

رسل :

دعنا نزعم ، كما هو حاصل الآن ، أن الجنس البشرى لن
يزج بنفسه فى حرب كبرى ، وفى اعتقادى أن الخطر الأكبر كما
أراه هو النزعة العسكرية ، وربما كان فى امكان العالم تحت
تأثير الاكتشافات العلمية . وامكانيات التنظيم والادارة ، أن
يصبح منظما تنظيما كاملا بما لا يدع مجالا للهزل أو المزاح .

وات :

وهل تعتقد أن النمط الادارى سيكون هو الغالب أو هو
المثل الأعلى ؟

رسل :

أعتقد أن ذلك ممكن ، فالنمط الادارى يحتوى فى داخله
على قدر ما من الكفاية العلمية ، ذلك لأن النمط الادارى
الآن ، قادر على انجاز أشياء لم يكن يقدر عليها من قبل
الاطلاق ، بعضها جيد ، ولكن أكثرها سيء .

وات :

ما هي أنواع الأشياء التي يمكن أن تنجم عن النمط الإداري ، مما تعده سيئا ؟

ومل :

لا بأس ، يمكن للنمط الإداري في المقام الأول ، أن يبدأ من مدارس الأطفال ، وأن يمضي في مدارج التعليم ، فيكون له أقوى التأثير وأعظمه ، على آراء الناس وأفكارهم ، بحيث يصبح ما يفكر الإنسان فيه ، وما يحلم به ، وما يخاف منه ، محدودا بسلطات التعليم . وعلى ذلك تغدو أشواق الإنسان ومخاوفه وفقا لما يريده ذلك النمط الإداري ، ولسوف يكون من أهم مهام هذا التعليم ، تدريب الفرد على التفكير الجيد في الحكومة ، التي لا تكون حكيمة أو رشيدة على الدوام .

وات :

ولكن ، ألن يوجد باستمرار ، ذلك الشخص القوي ، المستقل الفكر ، الذي على شاكلتك مثلا ، فيكون قادرا على الاستخفاف بذلك النمط من التعليم ؟

ومل :

لا أظن ذلك ، لا ، بمعنى أن الناس الذين هم على شاكلتي ، والذين ينتمون الى النمط الذي اتمى اليه ، انما شبوا في

عالم من الطراز القديم ، عالم أكثر اتساقا وتوافقا من العالم الذى أتوقعه فى المستقبل . عالم كانت توجد فيه الكثير من الثغرات ، والكثير من الاستثناءات ، ولم يكن الناس جميعا فى ذلك العالم ، يصبون فى قالب محدد ، كما يمكننى أن أراهم فى عالم المستقبل .

وات :

هل تقصد أن الناس لن يكونوا قادرين على أن يستخلصوا لأنفسهم حياة شخصية ، من برائن ذلك النمط الإدارى الذى ستكون له اليد العليا فى الأمور ؟ وهل لك أن تمدنا ببعض التفاصيل الأكثر دقة وتحديدًا ؟

رسل :

لا بأس ، خذ على سبيل المثال ، تلك الزاوية التى قد تكون أكثر ما فى الموضوع كله أهمية ، وأقصد بها علم تحسين النسل، افترض جدلا ان احدى الحكومات العلمية سيطرت عليها فكرة امكان تربية جنس بشرى أفضل من جنسنا البشرى هذا ، انهى لابد أن تكون على بينة من أمرها ، من وجهة النظر العلمية البحتة، من أن سلالة المستقبل ينبغى أن تتكون من خمسة فى المائة من الذكور ، وثلاثين فى المائة من الاناث ، ولكى تتحقق من هذه

النسبة ، ينبغي أن تعمل على تعميم البقية الباقية • ولاشك أن ذلك سيكون سيئا للغاية في واقع الأمر ، ولكنني واثق من أن ذلك محتمل الحدوث •

وات :

ولكن هل تعتقد أن هناك احتمالا حقيقيا في أن يسيطر العلم على عقول البشر ، حتى يمكن أن يحدث مثل ذلك ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أنهم بصدد تحقيق ذلك ، بدافع تحقيق النصر في الحرب ، لأنه قد غدا من الواضح جدا إمكان انتاج سلاطة بشرية بهذه الطريقة ، ومثل هذه السلاطة ، ستكون أكثر كفاءة في الحرب ، من تلك السلاطات التي خرجت حسبما اتفق ، أو بطرائق تحكمها المصادفة والاتفاق • وفي اعتقادي أنه من السهولة بمكان ، اقناع مثل هذه السلاطة بضرورة استخدام الأسلحة الذرية ، على اعتبار أن الجانب الآخر يملك هذه الأسلحة بالضرورة ، وعلى ذلك يصبح انتاج النسل بالطريقة العلمية ، على جانب كبير من الاهمية ، طالما كان الجانب الاخر ، سيستخدم هذه الطريقة •

وات :

هذا هو التصور الذى جاء فى رواية ١٩٨٤ لجورج أورويل ، أو فى رواية « عالم شجاع جديد » لالدوس هكسلى ، ولكن هل تعتقد أن ذلك يمكن أن يحدث فعلا خارج العالم الشيوعى ؟ أعنى أن يحدث مثلا فى عالم يسوده الفكر المحافظ ؟

رسل :

أعتقد أنه أقل خطورة فى الغرب ، منه فى العالم الشيوعى . ولكنى أعتقد كذلك أنه موجود فى الغرب بشكل لافت للنظر ، بشكل لافت جدا للنظر .

وات :

ما هو الرأى المحافظ ، والزى ، والعادات ، والفكر المحافظ ، وما الى ذلك مما تعتقد فى وجوده ؟

رسل :

حسن ، خذ الفن على سبيل المثال ، لقد لاحظت مرة فى أثر مرة أثناء أسفارى وخاصة فى أمريكا ، أنهم يحملون لفن قدرنا كبيرا من الاحترام ، كما أنهم يدفعون للفنانين الأوربيين المتأزبن ، مبلغا كبيرا من الدولارات . ولكنك فى ذات الوقت ، لا تكاد تجد طفلا أمريكيا يسمح له بممارسة تلك النزعة الفنية

المتحررة ، انتى لايد له منها ، اذا ما فكر فى أن يصبح فنانا ،
وعلى ذلك ، فان جميع الفنسانين الذين يحظون بتقديرهم من
الأوريين وليسوا من الأمريكان .

وات :

هل تعتقد أن الفن يلاقى فى روسيا ألوانا من المعاناة ؟

وسل :

أوه ، لا أكاد أدرى ، لأننى لم أزر روسيا منذ عام ١٩٢٠ ،
وان كنت أرجح ذلك بالضرورة ، فعلى الرغم من ظهور رواية
دكتور زيفاجو ، الا أنه فيما يبدو لى أن الأدب هناك يلقى الكثير
من صنوف المعاناة ، أعنى أن الأدب السوفيتى فى العهد القيصرى،
كان يتمتع بمكانة رفيعة ، ولا أعتقد أن أحدا يمكن أن يصفه
بذلك فى الوقت الحالى .

وات :

وماذا عن فن الباليه فى روسيا ؟

وسل :

الباليه هو كل ما تبقى من عهد القيصرية ، لقد بدا لى فن
الباليه عندما شاهدته فى عام ١٩٢٠ ، وكانما يعطينى الانطباع

يقطف الزهور ووضعتها في آنية ،: لقد شعرت بمدى جماله ومدى
رشاقته ، ولكنه لم يصف على روحى أى شعور بالحيوية ، وفي
اعتقادي أنه الآن مجرد تحفة فنية في أحد المتاحف .

وات :

هل تعتقد أن من شأن هذا كله ، أن يؤدي الى نوع من
التحجر العام ، الذى لا يسمح بظهور شىء جديد ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أن ثمة خطرا كبيرا يمكن أن يحدث من جراء
ذلك ، كأن تصبح روسيا مجتمعا بيزنطيا ساكنا ، بحيث يتشابه
ذلك جيلا وراء جيل ، وفي النهاية يتقوّل الناس في قالب واحد،
الى الدرجة التى لا يستطيعون فيها تحمل هذا النظام ،
فيرفضونه من جراء الملل .

وات :

ربما كانت من اهم الصعوبات التى تواجه الانسان ، أنه
لا يستطيع أن ينجز شيئا من خلال اقتناعه بفكرة انصاف
الحلول ، وربما بدأ بداية طيبة ولكنه سرعان ما يندفع الى طرف
النقيض ، هل تعتقد أن الانسان سوف يتعلم منطق الحلول
الوسط ؟

رسـل :

حسن ، فالأمل يحدوني في أنه سوف يتعلم ذلك بالضرورة،
ففي اعتقادي أن هذه مسألة ضرورية جدا في الواقع كما أعتقد
أن ذلك ممكن الحدوث ، غير أنني لا أتكهن له بمثل هذه الكهانة
المتشائمة ، وآمل ألا تحدث له على الاطلاق .

وات :

هل يمكننا أن نتقل الآن الى الأشياء الأكثر بهجة ؟

رسـل :

حسن ، ان أولى ما نحتاج اليه من أشياء ، هو التحقق
من أن شرور العالم ، بما في ذلك الشرور التي لم يسلم منها في
الزمن السابق ، يمكن أن تمحي في الوقت الحاضر . وما أدى الى
استمرار وجود هذه الشرور ، الا الآلام الدفينة التي ظلت قابضة
في أرواح الناس ، تحول بينهم وبين ارادتهم المسلوبة ، في أن
يخطوا خطوات ايجابية لاضفاء السعادة على غيرهم من البشر .
ففي اعتقادي أن كل متاعب العالم الحديث ، فضلا عن قوة
التكنولوجيا الحديثة ، انما تكمن في علم النفس الفردي ، أو
بالأحرى في آلام الانسان الفرد ، وبإلها من آلام ضارة ! فلو قدر
للإنسان ، ولو قدر له بصورة أقوى ، أن يكون سعيدا في عالم

متماسك ومتكامل ، لكان لزاما عليه أن يعمل على اسعاد جيرانه من البشر ، مهما كان يكن لهم من شعور بالكراهية . وفي تقديرى أنه لو تحققت مثل هذه الأشياء ، لعاش الانسان فى عالم أمد بكثير من أى عالم قدر عليه أن يوجد من قبل .

وات :

أى أنواع الشرور فى اعتقادك ، يمكن للانسان أن يدفعها بعيدا عنه ، لو قدر له أن يوجه عواطفه فى الطريق الذى تقترحه على هذا الانسان ؟

رسل :

حسن ، أولا وقبل كل شىء . . الحرب ، ويجىء بعد ذلك الفقر ، فى الأيام الغابرة لم يكن فى الامكان تعاشى الفقر بسبب كثافة السكان ، أما فى الأيام الحاضرة ، فالأمر على خلاف ذلك . فلو أن العالم أراد ، لاستطاع أن يحو الفقر فى زهاء أربعين عاما ، فالمرض على سبيل المثال ، أمكن محاصرته بشكل كبير ، ويملن محاصرته أكثر وأكثر ، انه لا يوجد سبب لاف يجعل البشر عاجزين عن ان يستمتعوا بقرات من البهجة والمرح .

وات :

حسن ، فنحن الآن ، انما نتكلم عن طريقة تحقيق الخير الواقعي ، فيما أظن ، فما هي ألوان الخير الواقعي الأخرى ، التي يمكن للانسان أن يحققها في المستقبل ؟

رسل :

في اعتقادي أن قدرا كبيرا من تحقيق الخير يتوقف على التعليم ، فمن طريق التعليم يمكن التأكيد على أن الجنس البشري انما هو أسرة واحدة ذات مصالح مشتركة ، وعلى ذلك يصبح التعاون أكثر أهمية من التنافر ، ومجبة الانسان لجاره ، لا كمجرد واجب أخلاقي تنصح به الكنائس ، ولكنه بالاضافة الى ذلك السياسة الحكيمة من وجهة نظر سعادة الانسان الخاصة .

وات :

ربما كان من أهم الفوائد التي يبدو أن العلم بصدد تحقيقها للجنس البشري ، اختصاره نسبيا لساعات العمل ، بحيث تقتصر عدد ساعات العمل على عشر ساعات في الأسبوع ، فماذا سيفعل الانسان بكل هذا الوقت من الفراغ ؟

رسل :

حسن ، سوف يفعل الانسان ، اذا ما تحققت صورة العالم الذي اتحيله عندما ينتابني الشعور بالسعادة ، ما يتبغى على

الانسان أن يفعله ، أعنى أن يفعل ما كان يفعله الانسان المتحضر في الزمن الماضي ، خد على سبيل المثال الانسان الارستقراطي في القرن الثامن عشر ، الذي كان نموذجا حقيقيا للانسان المتحضر . لقد كان يملك وقتا كبيرا من الفراغ ، ولكنه كان يعرف تماما ماذا يفعل بوقت فراغه ، حتى أن كثيرا منهم حقق أفضل الأشياء مما لا نكاد نجد له مثيلا الآن ، فما أكثر الذين أتوا أفعالا عظيمة، كتشجيع الفن ، واقامة الحدائق الجميلة ، وتشيد المنازل الباهرة ، الى آخر هذه الأشياء التي تنال منا الاعجاب . وانتى لأرى بعين خيالى ، عندما ينتابنى الشعور بالبهجة ، عالما يمكن أن تتحقق فيه لكل انسان مثل هذه الاستخدامات الجيدة لأوقات الفراغ ، ذلك لأن كل انسان سوف يكون قد بلغ مستوى كافيا من الحضارة .

وات :

وماذا عن المغامرة في هذا المجال الجزئى المحدود ؟

رسل :

المغامرات ينبغى أن تكون منظمة من قبيل السلطات ، بمعنى أن السلطات ينبغى عليها أن تمكن من المغامرة ، دونما اتفاق باهظ سواء فى المال أو فى الوقت ، وذلك لأظهار أنواع حقيقيه من المغامرين . وإذا لزم الأمر فلتكن مشروعات تتصف بالخطورة ، من النوع الذى يتمتع صغار الشباب ، فالانسان

ينبغي أن يمكن من الذهاب الى القطب ، وينبغي أن يمكن من تسلق الجبال الشاهقة ، واذا ما تحققت رحلات الفضاء ، كان من الواجب على الانسان أن يكون قادرا على الاشتراك في هذه الرحلات ، فالأشياء التي من هذا القبيل ، ينبغي أن تيسر سبلها أمام الانسان ، وهذا من شأنه تغيير مجرى الاهتمامات ، التي تندفع في الوقت الحالي ، وبايقاع سريع نحو الحرب •

وات :

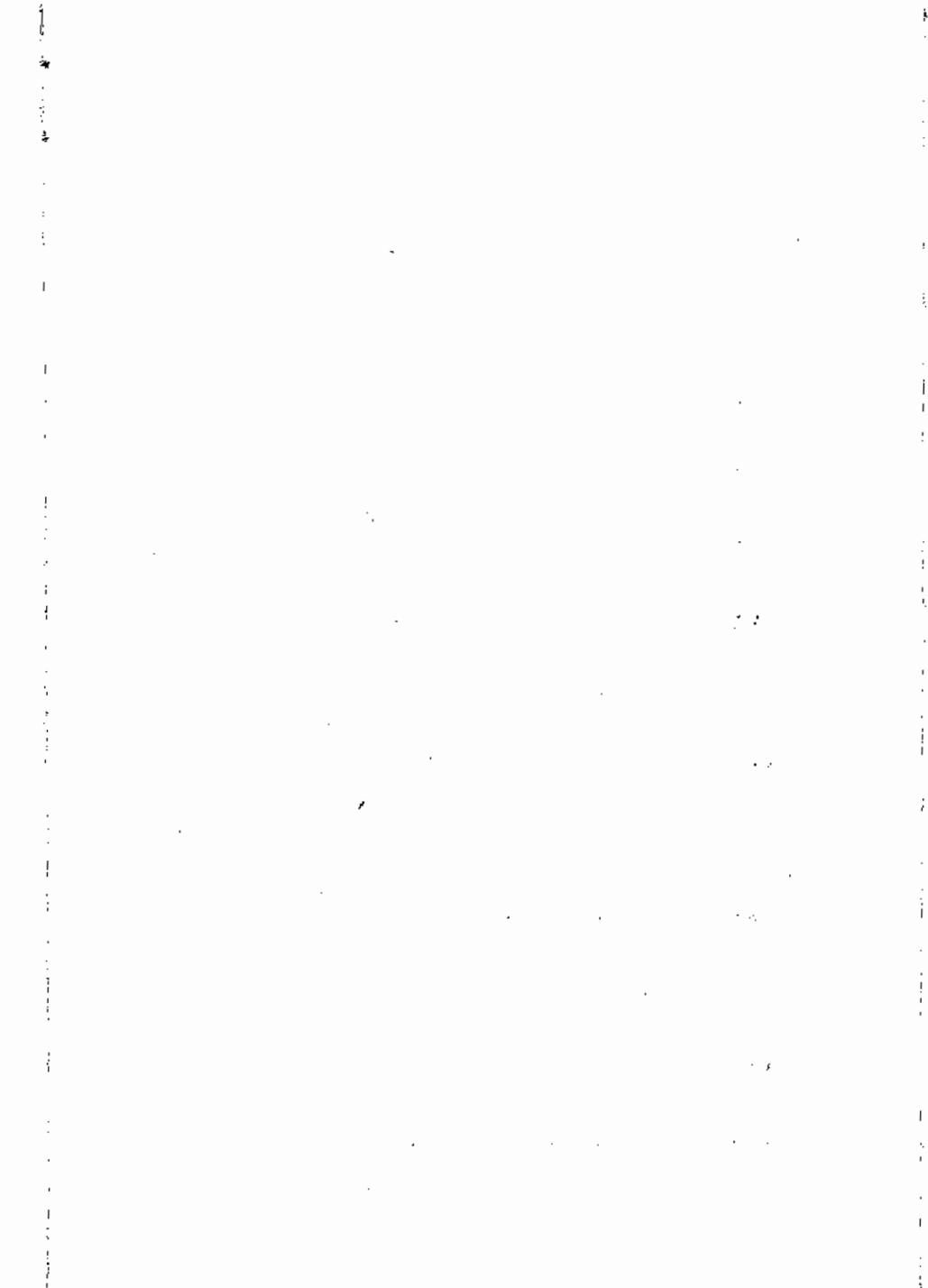
ما هي الرسالة الأخيرة التي تود أن تبث بها الى الجنس البشري في مستقبله ؟

رسل :

أود أن أقول للجنس البشري انك من خلال ما أوتيت من معرفة ، تملك من القدرات ما لم يكن لدى الانسان من قبل ، وأنت قادر على توجيه هذه القدرات اما في طريق الخير أو في طريق الشر ، وسوف تستخدمها في سبيل الخير ، لو تحققت من ان الجنس البشري كله انما هو أسرة واحدة ، ونحن أبناء هذه الأسرة في أيدينا أن نكون سعداء وفي أيدينا أيضا وفي ذات الوقت أن نكون بؤساء • لقد انقضى الزمن الذي كانت فيه القلة السعيدة تستطيع أن تحيا على حساب بؤس الكثرة الكبيرة ، لقد انقضى فعلا ذلك الزمن ، ولن يقبله البشر مرة أخرى • فعلى

الجنس البشرى أن يعلم من خلال ما أوتى من معرفة ، أنه لن يعيش سعيدا ، ما لم يعيش جيرانه فى سعادة . وفى يقينى أن الناس لو عملوا على ترشيد تعليمهم وتوجيهه فى طريق الحكمة، لتفتحت أمامهم آفاق الطبيعة ، ولن يجدوا صعوبة فى أن يمنحوا غيرهم السعادة ، كشرط أساسى لكى يعيشوا هم أنفسهم سعداء .

وطالما رأيت بعين خيالى ، عالما من سعداء البشر ، يملؤهم النشاط ، ويكتنفهم الذكاء ، عالما ليس فيه ظلم واحد ، ولا مكان فيه للظلم ، عالما من بنى البشر على وعى بأز مصالحهم المشتركة أرجح كفة من نزعات التنافس والتناحر التى من شأنها القضاء على الامكانيات العظيمة ، التى بوسع الذكاء البشرى والخيار البشرى أن يجعلها أمرا قابلا للتحقيق . ان مثل هذا العالم الذى أتحدث عنه يمكن أن يتحقق لو اختاره البشر ، وعملوا على تحقيقه . ولو قدر لهذا العالم أن يوجد ، أو أن يكون فى حيز الوجود ، فياله من عالم مجيد الى أقصى درجات المجد ، وياله من عالم عظيم الى أقصى درجات العظمة ، وياله من عالم سعيد الى أقصى درجات السعادة ، وياله من عالم ملىء بالخيال ، ملىء بمشاعر السعادة ، ملىء بما لم يمتلىء به عالم آخر من قبل هذا العالم .



وللمترجم ٠٠ كتب اخرى

(ا) مؤلفة :

- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| دار الكتاب العربي | ١ - حقيقة الفلسفات الاسلامية |
| الهيئة المصرية العامة للكتاب | ٢ - ثقافتنا ٠٠ بين الأصالة والمعاصرة |
| دار النهضة العربية | ٣ - المسرح ٠٠ أبو الفنون |
| مكتبة الأنجلو المصرية | ٤ - لن يسدل الستار |
| دار المعارف بمصر | ٥ - مسرح أو لا مسرح |
| دار الشعب | ٦ - سقوط الألقمة |
| دار المعارف بمصر | ٧ - مصطفى محمود ٠٠ شاهد على عصره |
| دار المعارف بمصر | ٨ - الضحك ٠٠ فلسفة وفن |

(ب) مترجمة :

● مسرحيات :

- | | | |
|----------------------|---------------|----------------------------|
| روائع المسرح العالمي | ليوجين أونيل | ٩ - القرد الكثيف الشعر |
| روائع المسرح العالمي | ليوجين أونيل | ١٠ - الآله الكبير براون |
| مسرحيات عالمية | لجون أوزبورن | ١١ - أنظر وراءك في غضب |
| مسرحيات مختارة | لادوارد آبي | ١٢ - العنينة |
| مسرحيات مختارة | سارتر - بيجيت | ١٣ - من الوجودية الى العبث |

● دراسات :

- | | | |
|------------------------------|---------------|------------------------------|
| دار النهضة العربية | للرئيس فرجسون | ١٤ - فكرة المسرح |
| دار الوطن العربي (بيروت) | لجون كروكشانك | ١٥ - المسرح كأمم وادب التمرد |
| مكتبة الأنجلو المصرية | (مع آخرين) | ١٦ - الوصعة اللغسية المختصرة |
| الهيئة المصرية العامة للكتاب | لبرتراند رسل | ١٧ - معاويات برتراند رسل |

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٩/٢٨٦٢
ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٦٩٢ ٣